مواقف من

بطولات آل البيت

جمع وإعداد
الداعية: أحمد محمود الحليس

مكتبة الإيمان بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إني أحببت آل بيت نبيك محمد ﷺ أصدق الحب وأعمقه، فهبني يوم الفزع الأكبر لأي منهم، فإنك تعلم أني ما أحببتهم إلا فيك يا أرحم الراحمين.

أحمد محمود الحليس



الإهداء

إلى أرواح الأبطال في كل عصر وأوان.

إلى أرواح الشهداء في كل زمان.

إلى أرواح الذين ماتوا دفـاعًا عن دينهم في كل مكان.

إلى أرواح شهداء الحق والعدل.

إلى الذين ضحوا دفاعًا عن العرض والوطن في كل جيل.

إلى شهدائنا في أرض الصمود والتحدي.

إلى شـهداء الأقـصى أولى القـبلتين وثالث الحرمين.

إلى نصراء الحق في كل زمان ومكان.

أهدي هذا العمل المتواضع.

بسم الله الرحمن الرحيم



الحـمـد لله رب العـالمين، والصلاة والسـلام على من لا نبي بعـده ،وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين وبعد.

إن الأمة الإسلامية اليوم في حاجة إلى شحذ الهمم من أجل أن تعرف طريق النصر والوصول إلى غايتـها المرجوة ،والخروج من هذا النفق المظلم، في وقت تكالبت عليها الأمم من الشرق والغرب ،فنظرنا في تاريخنا المجيد فوجدنا فيه صوراً باهرة في فن البطولة والفداء، ولم نجد أفضل من آل بيت النبوة الذين ضربوا أروع الأمثـال في فن البطولة والفداء من أجل أن تقتدي بهم وتسيـر على طريقهم. نقدم هذا الجـزء من الدراسة التي تضع بطولات آل بيت النبوة في الصف الأول. وهي تتكون مما يلي:

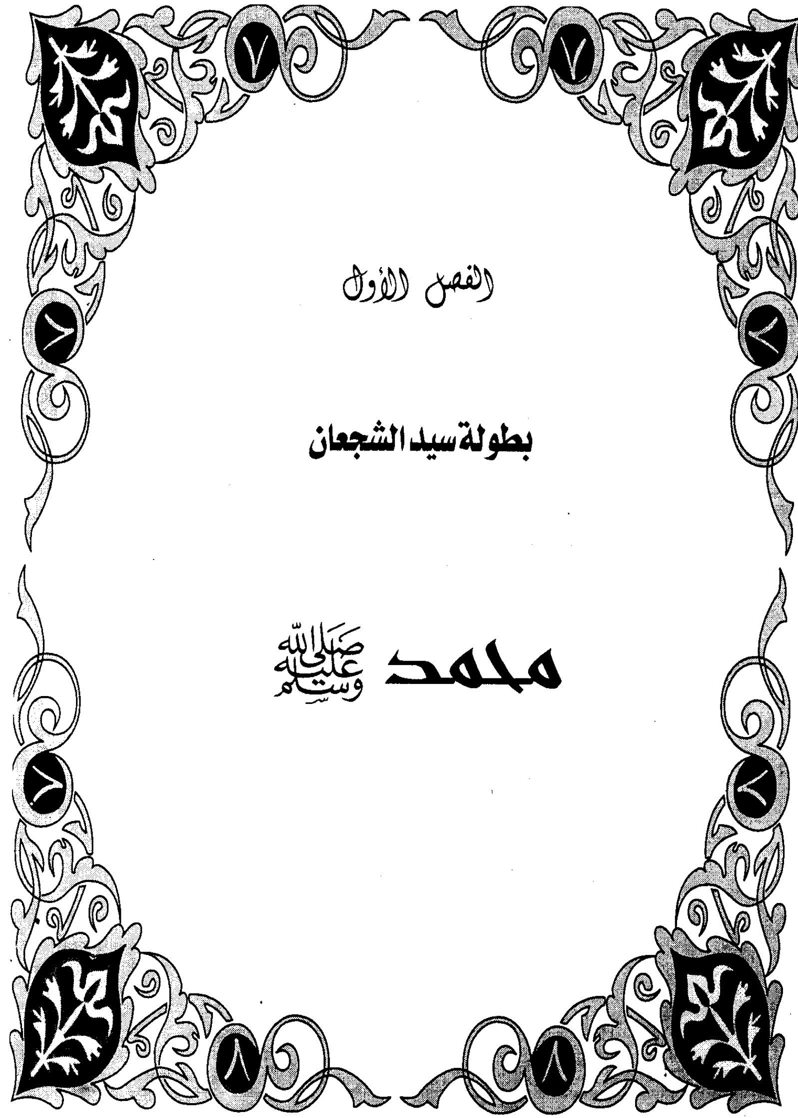
الفصل الأول: بطولة سيد الشجعان ﷺ.

الفصل الثاني: الإمام علي.

الفصل الثالث: الحسن ابن الإمام علي.

الفصل الرابع: الحسين.

الفصل الخامس: بعض الذين سار معهم من بني هاشم.



الفصل الأول

بطولة سيد الشجعان

محمد ﷺ

إن بطولة سيد الخلق ﷺ لم تختص بفترة زمنية من عمره ،بل نشأ عليها منذ صغره، فلم يكن بلغ مبلغ الشباب بعد واشترك مع أعمامه في حرب الفجار، فكان ينبل عليهم. بل حياته كلها كانت عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الشجاعة والبطولة. فقبل بعثته كان ناصرًا للحق واقفًا مع المظلوم واقفًا في وجه الظالم ،وقد أشارت إلى هذا أول أم للمؤمنين السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد فيما جاءها وهو يرتعد فقالت : والله لن يخزيك الله أبدًا .

وبعد بعثته إلى يوم وفاته كان في جهاد موصول، فقد رمته العرب عن قوس ولم يقف في جواره إلا المستضعفين من العبيد وبعض السادة من أمثال أبي بكر وعثمان بن عفان رضوان الله عليهما. فوقف في شجاعة نادرة لم يعرف لها التاريخ مثل يدافع عن مبادئه وعن دينه ،وقال عبارته الشهيرة حينما عرض عليه المال والملك والجاه والسلطان. فقال لعمه: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته . هل رأيت شجاعة مثل هذه.

قال هذه العبارة في وقت كانت قوى الشرك والشر متكاثرة عليه وتحيط به من كل جانب كما يحيط السوار بالمعصم ،فلم يفتّ ذلك في شجاعته وصموده وقوة يقينه بأن النصر آتيه لا محالة ،فوقف يصارع الأمواج العاتية فثبت ثبات الجبال الراسيات ،فلم يكن غريبا أن يقال في وصفه:

إنه كان بين الأبطال بطلاً وبين الرجال رجلاً وبين الأمثال مثلاً. فأراد الله لنا أن نعرض بعض النماذج الباهرة من بطولات سيدي الأبطال ؛لتكون لنا زادًا في حياتنا.

فإليك أيها القارئ بعض النماذج من بطولات سيد المرسلين :

سيد الشجعان ﷺ

فقد روي أن أهل المدينة فزعوا في ليلة من الليالي عندما سمعوا صوت استغاثة مزعج، فخرج رجالهم ونساؤهم إلى مصدر ذلك الصوت ليعرفوا سبب هذه الاستغاثة، وكانوا جميعًا حريصين على أن يذهبوا إلى ذلك الخطر فيزيلوه دون أن يعلموا بذلك رسول الله ﷺ ؛ حتى لا يقلقوا راحته ويزعجوا منامه.

ولكن المفاجئة أنهم ما كادوا يصلون إلى مكان الخطر حتى وجدوا رسول الله ﷺ قد سبقهم إليه.

وكانت نار قد شبت في بيت من بيوتها فأسرع رسول الله ﷺ إليها وأطفأها قبل أن يجتمع الناس ،وكان على فرس عار لا شيء عليه فاستقبلهم عائدًا وجعل يطمئنهم قائلاً لهم: «لقد أطفأتها ولن تراعوا».

فعادوا وكلهم إعجاب بشجاعة الرسول ﷺ التي كانت موضع أحاديثهم[1].

ويقول الإمام علي كرم الله وجه ورضي الله عنه وهو البطل الصنديد: كنا إذا حمي الوطيس-أي الحرب-اتقينا برسول الله ﷺ - أي احتمينا به وفيه - فيكون أقربنا إلى العدو.

فهذا سيد الأبطال الذي ما صارع أحدًا إلا صرعه وقضى عليه يصف

(١) من وصايا الرسول ﷺ ج١ ص٤٢٤ .

لنا شجاعة الرسول ﷺ التي لا مثيل لها ،فيقول ويصف حاله وحال إخوانه من المسلمين :كنا إذا حمي الحرب وكثر الضرب وقرب الفر احتمينا برسول الله ﷺ فيكون أقربنا إلى العدو ،وهذه شجاعة نادرة ففي الوقت الذي يفر فيه الأبطال يقدم هو إلى العدو فيقترب منه ،ألم نقل إنه سيد الشجعان؟!.

وقد ثبت أنه ﷺ لم يتراجع في غزوة قط في الوقت الذي كان الأبطال فيه من المهاجرين والأنصار يتراجعون أو يفرون أحيانًا .

وهذه بعض النماذج التي توضح لنا بطولاته:

• • في غزوة أحد :

فقد ثبت ثبات الجبال الراسيات ولم يتزحزح عن موقفه.

موقف الرسول ﷺ الباسل إزاء عمل التطويق:

من المعلوم تاريخيًا أن فصيلة الرماة أحدثت بسبب نزولها عن مواقعها غلطة فظيعة قلبت الوضع تمامًا، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين وكادت تكون سببًا في مقتل الرسول ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ حينئذ في مفرزة صغيرة-أي في مجموعة صغيرة العدد من الرجال[1]- في مؤخرة المسلمين [2] وكان يرقب مجالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين إذ بغت -أي فوجئ- بفرسان خالد بن الوليد مباغتة كاملة فكان أمامه طريقان:

---

(١) صحيح مسلم ١٠٧/٢ أنه ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش.

(٢) الرحيق المختوم ص ٢٩٠ صفي الرحمن المباركفوري ط دار العنان .

الطريق الأول:

إما أن ينجو بنفسه وبأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون ويترك جيشه المطوق إلى مصيره المقدور.

والطريق الثاني:

أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشه المطوق إلى هضاب أحد وإلى مكان يمكّنه من النجاة بجيشه.

وهنا تجلت عبقرية الرسول ﷺ وشجاعته المنقطعة النظير: فقد رفع صوته ينادي أصحابه: «**عباد الله**». وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطرًا بنفسه في هذا الظرف الدقيق، وفعلاً قد علم به المشركون فخلصوا إليه قبل أن يصل إليه المسلمون، فكرّوا إليه وهاجموه ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين، فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف ظهرت فيه نوادر الحب والتفاني والبسالة والبطولة. وبمثل هذا الاستبسال والتشجيع عادت إلى جنود المسلمين روحهم المعنوية؛ لأنهم رأوا رسول الله ﷺ ثبت ثبات الأبطال وجاهد في الله حق الجهاد. ووسط هذه الأهوال وتلك الأمواج المتلاطمة وقف بطل الأبطال وسيد الشجعان وهو يقول:

أنا النبي لا كذب　　　أنا بن عبد المطلب

حتى استنبط بعض المقربين من قول الحق: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء: ٨٤]. أن رسول الله ﷺ كان

مأمــورًا ألا يفر من المشــركين إذا واجهــوه ولو كان وحــده من قوله : ﴿لا تُكَلَّفُ إلاَّ نَفْسَكَ﴾ . وقد كان ﷺ من أشجع الناس وأصبر الناس وأجلدهم ما فــرّ قط من مصاف الأبــطال ولو تولى عنه أصحابه، فــفي يوم بدر رمى ألف مشرك بقبضة من حصا ،فنالتهم أجمعين حين قال: «شاهت الوجوه».

ويروي عنه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«فضلت على الناس بشدة البطش»**.



● أبو جهل والإراشي:

قال ابن إســحاق: قدم رجل من إراش بإبل له مكة فاشــتراها منه أبو جهل، فماطله في دفع أثمانهــا فأقبل الرجل حتى وقف على نادٍ من نوادي قريش ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جــالس فقال :يا معشرَ قريش مَن رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشــام؛ فإني رجل غريب ابن سبــيل وقد غلبــني على حــقي، فــقـــال له أهــل ذلك المجلس :أترى ذلــك الرجل الجالس-يقصد رسول الله وهم يهــزؤون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة -اذهب إليه فإنه يؤديك عليه.

فأقبل الإراشــي حتى وقف على رسول الله ﷺ. فقــال :يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام قــد غلبني على حق لي قِبله وأنا غريب ابن ســبيل، وقد سألت هؤلاء القــوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لي حــقي منه فأشاروا عليّ بك، فخذ لي حقي منه يرحمك الله. قال:انطلق إليه وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام معــه قال القوم لرجل ممن معهم: اتبعــه فانتظر ماذا يصنع قال:وخــرج رسول الله ﷺ حــتى جاءه فضــرب عليه بابه فــقال أبو

جهل: من هذا ؟قال: «محمد» فخرج إليّ فخرج إليه وما في وجهه من رائحة دم قد انتقع لونه، فقال: «أعط هذا الرجل حقه». قال: نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له قال: فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثم انصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: «الحق بشأنك»، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيرًا فقد والله أخذ لي حقي.

قال: وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت ؟ قال: أعجب من العجب، والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه، فقال له: «أعط هذا حقه» فقال: نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا له: ويلك ما لك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط؟! قال: ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب عليّ بابي وسمعت صوته فملئت رعبًا ثم خرجت إليه[١].

فشجاعة الرسول ﷺ التي فاقت الجميع فجعلت عدو الله أبو جهل يمتلئ رعبًا وخوفًا وفزعًا عندما سمع صوته، وكان الغرض من بعث الإراشي أن يهزؤوا برسول الله ﷺ، ولكن شجاعة الرسول ﷺ لقنهم درسًا في شخص أبي جهل[٢].



(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص ١٣٤ ط الحلبي.
(٢) الروض الأنف للإمام السهيلي ج٢ ص١٢٥ ط مؤسسة مختار.

ركانة ومصارعته:

قال ابن إسحاق :كان ركانة بن عبد يزيد أشد قريش ،فخلا يوما برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة فقال رسول الله ﷺ: «يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه» قال :إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك فقال رسول الله ﷺ : «أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق؟» قال :نعم قال: «فقم حتى أصارعك» ،فقام إليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئًا ثم قال: عد يا محمد فعاد رسول الله ﷺ فصرعه فقال: والله يا محمد إن هذا للعجب أتصرعني؟! فقال رسول الله ﷺ : «وأعجب من ذلك أريك إن اتقيت الله واتبعت أمري» ،قال: وما هو؟. قال: «أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني» قال: ادعها .فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقال لها : «ارجعي إلى مكانك» قال: فرجعت إلى مكانها. فذهب ركانة إلى قومه. فقال: يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه ،ثم أخبرهم بالذي كان.

وتعليقًا على هذا:

ركانة هذا كان معروفًا بالقوة والشجاعة والإقدام حتى كان مضرب المثل بين قومه وأقرانه.



مقتل أبي بن خلف:

في غزوة أحد لما صعد رسول الله ﷺ إلى شعب جبل أحد أدركه أبيّ ابن خلف وهو يقول: أي محـمد لا نجوت إن نجوت فقـال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليـه رجل منا -أي يقـوم له رجل منا يدافع عنك - ويقـتل عدو الله، ولكن بطل الأبطال وسيد الشجعان رسول الله ﷺ قال: «دعوه» فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحـارث بن الصمة يقول بعض من شاهد هـذه الواقعة: فلـما أخذها رسـول الله عليه السـلام منه انتفـض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الذباب عن صهر البعير إذ انتفض بها ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارًا.

معنى هذا: أنه حيـنما طعنه الرسول ﷺ في عنقه جـعله يتدحرج عن ظهر فرسه مرارا[١].

وكـان عدو الله أبي بن خـلف كان كلمـا يلقي رسـول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد، إن عندي العـوذ فرسًا أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليه فيقول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله» فكان لعنه الله يحذر ذلك ويقول فو الله لو بصق محمد علي لقتلني[٢].

تعليقًا على هذا:

هذا رجل تواعـد رسـول الله ﷺ منذ أن كان في مـكة منذ اللحظات الأولى لانطلاق شعـاع نور الدعوة الإسلامية وزاد الرجل فـي عدائه وغالى

(١) الروض الأنف في تفسـير السيـرة للإمام السهـيلي ج٣ ص١٦٦ ط. مكتبـة الكليات الأزهرية.

(٢) سيرة ابن هشام ج٣ ص١١٥ ط الحلبي.

فيه طيلة ستة عشر عامًا في مكة حتى اشترى فرسًا وأخذ يعلفه الذرة استعدادًا لقتل سيد المرسلين عليه، وكان كلما قابل رسول الله ﷺ يقول له: إني قاتلك يا محمد. ولم يزد رسول الله ﷺ عن قوله: بل أنا قاتلك إن شاء الله.

وبعد الهجرة وتحديدًا في العام الثالث من الهجرة في غزوة أحد وجد نفسه مع رسول الله وجهًا لوجه، وظن أن الفرصة سانحة ومواتية له وخاصة بعد أن انكسر المسلمون وصعد رسول الله إلى أعلى الجبل وظن أبيّ ابن خلف أنه أدرك بغيته وأن صيده سهل المنال فقال: لا نجوت إن نجا محمد، وقد خشي أصحاب رسول الله ﷺ عليه، فقالوا: نحن له، ولكن شجاعته وبطولته أبت عليه هذا فأخذ حربة فضربه بها. يقول من شهد هذه الواقعة: إن الضربة أطاحت به حتى تدحرج من على ظهر فرسه كالذباب الذي يتطاير حينما يتحرك البعيد الذي حط عليه من شدة الضربة التي سددها له الرسول ﷺ.



● غزوة الأحزاب:

يقول البراء بن عازب رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، فشكونا إلى رسول الله ﷺ فجاء ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول وقال: «بسم الله»، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ثم قال: «بسم الله» وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر وقال: «الله أكبر

أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»[١].

فأشاع بهذه البشائر وهذا التفاؤل: الاطمئنان في نفوس المسلمين. كما كانت شجاعته تلك رائدة لهم في جميع المعارك الإسلامية التي سجلوا من البطولات العظيمة ما لا حصر له وهم يذكرون دائمًا وأبدًا قول القائد الأعلى صلوات الله وسلامه عليه: والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل ثم أغزو فأُقتل ثم أغزو فأُقتل.



غزوة حنين وشجاعة النبي ﷺ:

كان عدد الجيش الإسلامي في هذه الغزوة اثنا عشر ألفا. حتى قال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة ؛ لأن قائل هذا نظر إلى كثرة الجيش.

وكان قد شق ذلك على رسول الله، ولكن هذا الجيش الذي كان كثير العدد فوجئ بأعدائه وقد أعدوا له أكمنة كثيرة وشدوا عليه شدة رجل واحد.

فانشمر المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد فكانت هزيمة منكرة حتى قال أبو سفيان بن حرب وهو حديث عهد بالإسلام لا تنتهي هزيمتهم دون البحر-الأحمر-وصرخ جبلة بن الجنيد : ألا بطل السحر اليوم.

في وسط هذه الأهوال وتلك الخطوب المتلاحقة كانت شجاعة النبي ﷺ التي هي مضرب الأمثال. فقد انحاز ﷺ إلى جهة اليمين وهو يقول: «هلموا إليّ أيها الناس أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله». ولم يبق معه في موقفه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته.

(١) رواه الإمام أحمد.

وحينئذ ظهرت شـجاعته ﷺ التي لا نظير لها، فقـلـ طفق يركز بغلته قِبل الكفار وهو يقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وندع شاهد عيان يصف لنا هذا الموقف الذي تجلت فـيه هذه الشجاعة النادرة. فيقول أبو سفيان بن الحارث: كنت آخذ بلجام بغلته، والعباس بركابه ملفًا بها ألا تسرع، ثم نزل رسول الله ﷺ فاستنصر ربه قائلاً: «اللهم أنزل نصرك». وأمر رسول الله ﷺ عـمه العباس وكان جهـير الصوت أن ينادي الصحابة بأعلى صـوته فتجمع له مائة رجل استـقبلوا الناس واقتلوا، ونظر رسـول الله ﷺ فقـال: «الآن حمي الوطيـس». ثم أخذ قـبضـة من تراب الأرض فرمى بها في وجـوه القوم وقال: شاهت الوجوه. فـما خلق الله عز وجل إنسـانًا إلا ملأ عـينيـه ترابًا من تلك القبـضـة فلم يزل حدهم كليـلاً وأمرهم مدبرًا.

وما هي إلا ساعـات قلائل بعد رمي القبضة حـتى انهزم العدو هزيمة منكرة وقتل مـن ثقيف وحدهم نحـو السبعين وحـاز المسلمون مـا كان من العدو من مال وسلاح وظعن[1].

● ● وتعليقًا على هذا:

إن شجـاعة الرسـول ﷺ كانت المثل الأعـلى والقمـة السامـقة-أي العالية- في البطولة وفن الفداء ؛فقد فر من حوله اثنا عشر ألف مقاتل ولم

(١) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ٣٠٣ ط دار التراث العربي ،زاد المعاد لابن القيم ج٢ ،ص١٦٠ :٢٠١ ،صحيح البخـاري أبواب :غزوة الفتح وحنين وأوطاس ج٢ ص٦١٢ ،فتح الباري لابن حجر ج٨ ص٣ :٥٨ .

يبق معـه إلا رجلين، أحدهما يمسك بلجـام بغلته والثاني يقف في وجهـها حتى لا تسرع إلى العدو، وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهو يعلم أن قتله هو غاية المنى والأمل بالنسبة إلى أعدائه، وما قامت هذه المعارك إلا من أجل مـحاربة الإسلام والخـلاص من نبي السلام. ومع هذا فإنه لا يلوي على شيء، فضرب أروع الأمثال في البطولة وفن الفداء.

وإن المتطلع في تاريخ البشرية منذ آدم إلى اليـوم وإلى أن تقوم الساعة لم ولن يجـد قائدا من القادة الذين ازدحـم بهم تاريخ البشريـة أن يفر من حوله جنوده ثم يـقدم في بسالة وشـجاعة نحـو عدو سـيموت ظمـأ لدمه وأصحـابه ،وغاية أمـانيه ومنتهـى أحلامه أن يعـود برأس محـمد، فكانت المفـاجأة أنه هو وحـفنة من أصـحابه البـواسل يحـولون الهزيمة إلى نصـر كاسح. لم يكن هذا القـائد إلا رسول الله ﷺ ،ألم نقل: إنه بطل الأبطال وسيد الشجعان ﷺ.





الفصل الثاني

بطولة الإمام

علي

كرم الله وجهه

اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني ، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة ·

اللهم اغفر لي ما وعدت به من خير لم أفعله ·

اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي ·

اللهم اغفر لي سقطات الألفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان ·

من دعاء الإمام علي كرم الله وجهه

بطل من آل بيت النبوة
الإمام علي كرم الله وجهه

مقدمة:

إن المتتبع لحياة الإمام علي كرم الله وجهه ليجد أن شجاعته وإقدامه وبطولته ليست وليدة حادث معين أو فترة زمنية معينة ؛لأن حياة الإمام لم تكن حياة عادية ولكن بطولته فاقت تصور البشر. والمشهور عنه أنه كان هاشمي الأبوين فتجمعت له خلاصة الصفات التي اشتهرت بها هذه الأسرة الكريمة ،وهي في جملتها النبل والشجاعة والمروءة والذكاء ، وسمته أمه : حيدرة ، وهو اسم من أسماء الأسد، فغيره أبوه وسماه عليّ وبه اشتهر ، وكان رضي الله عنه في طفولته مبكر النماء سابقًا لأنداده في الفهم والقدرة؛ لأنه أدرك في السادسة شيئا من الدعوة ،فنشأ رجلاً مكين البنيان في الشباب والكهولة حتى ناهز الستين من عمره.

قال عنه واصفوه وهو في تمام الرجولة : إنه كان ربعة أميل إلى القصر آدم-أي أسمر-أصلع مبيض الرأس واللحية طويلها ، ثقيل العين في دعج وسعة، حسن الوجه واضح البشاشة أغيد-أي كأن عنقه إبريق فضة- عريض المنكبين-أي عريض الكتفين-هما مشاش كمشاش السبع الضاري. معنى هذا: أن أكتافه كانت ضخمة تشبه أكتاف السبع الضاري لا يتبين عضده من ساعده ، قد أدمجا إدماجًا ، وكان أبجر- كبير البطن يميل إلى السمنة في غير إفراط وبدون مرض-ضخم عضلة الساق ضخم عضلة الذراع شثن

الكف ، يتكفأ في مشيته على نحو يقارب مشية رسول الله ﷺ ، ويقدم في الحرب مهرولاً لا يلوي على شيء ٠

ويقول واصفوه : إنه كان يتمتع بقوة جسدية بالغة في المكانة والصلابة ٠ فربما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض غير جاهد ولا حافل ، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحدًا إلا صرعه ولم يبارز أحدًا إلا قتله٠ ومن مكانة تركيبه رضي الله عنه أنه كان لا يبالي الحر والبرد ، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف ، فسئل عن ذلك فقال: إن رسول الله ﷺ بعث إليّ وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله! إني أرمد العين٠ فقال: «**اللهم أذهب عنه الحر والبرد**» ٠ فما وجدت حرًا ولا بردًا منذ يومئذ ٠ ولا يفهم من هذا أنه معدوم الحس بالبرد والحر بالغًا ما بلغ بهما القساوة ، فقد كان يرعد من البرد إذا اشتد ، بل كان لديه مناعة قوية خصت بها بنيته ما لم يخص بها معظم الناس ٠ وإننا بعون الله وتوفيقه نقدم للقارئ الكريم نماذج من بطولاته التي ملأت مسامع القاصي والداني ، ولنعلم أن بطولاته رضي الله عنه لم تكن عن بغي وظلم وعزوف عن الحق ، ولكن كانت دفاعًا عن الحق وإرساء قواعد العدل [1] ٠

فمن الذين تأثروا به ﷺ وتتلمذوا على يديه:

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي تشبع بخصال النبي ﷺ وتعلم منه الكثير من المواقف البطولية منذ أن كان في كفالة النبي ﷺ الذي ضمه إليه تعاونًا مع عمه أبي طالب ، وكان هذا عندما أصاب القحط قريشا ذات عام وناء أبو طالب بأمر أسرته فاقترح النبي ﷺ على ذوي القربى أن

(١) يراجع: عبقرية علي للعقاد ص٥ ٠

يضم كل منهم إليه ولدًا من أولاد أبي طالب ، وهم جعفر وعقيل وطالب وعلي . فكان علي من نصيب الرسول ﷺ ، فشب على حب النبي ﷺ ، وكان أول من آمن به من الفتيان كما كان متحمسًا لعقيدته وهو صبي .

ومن شجاعته : ما حدث وهو في العاشرة من عمره حين أحاط المشركون بالنبي ﷺ قبل انتشار الدعوة الإسلامية وهم ينبذون النبي ﷺ ويتوعدونه ويقولون له : إنك وحيد ليس لك فينا نصير . وعندما سمع ذلك علي صاح قائلاً وهو ينظر إلى النبي ﷺ : أنا نصيرك . فضحك القوم من هذا الصبي الصغير ، ولكنه شد قبضته كأنه فارس مغوار وهو يهم بالهجوم على القوم ؛ دفاعًا عن النبي ﷺ .

وقد عبر شاعر مصري عن هذا بقوله: (١)

ولن ينسى النبي له صنعيا ∴ عشية ودع البيت الحراما
عشية سامه في الله نفسا ∴ لغير الله تكبر أن تساما
فأرخصها فدى لأخيه لما ∴ تسجى في حظيرته وناما
وأقبلت الصوارم والمنايا ∴ لحرب الله تنتحم انتحاما
فلم يأبه لها أنفا علي ∴ ولم تقلق بجفنتيه مناما
وأغشى الله أعينهم فراحت ∴ ولم تر ذلك البدر التماما

إن بطولة الإمام كرم الله وجه بدأت مبكرة منذ نعومة أظفاره ،وهذا هو النموذج الأول:

(١) هو المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب .

يقـول ابن إسـحاق : إن جبـريل عليه السـلام أتى رسـول الله ﷺ فقـال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبـيت عليه. فلمـا كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه. فلما رأى رسـول الله ﷺ مكانهم قـال لعلي بن أبي طالب: «نم على فـراشي وتسجّ ببردي هذا الحـضرمي الأخضـر فنم فيه فـإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم». وكان رسول الله ﷺ ينام في بردهَ ذلك إذا نام[1].

إن خطة الهجرة كما رسمها الرسول ﷺ كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت رجل تشغل حركته داخل الـدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش ، وتخدعـهم بعض الوقت عن مخرج الرسول عليـه السلام ؛ حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزا منطقة الخطر.

ولكن ما مصـيره حتى تكشف قريش الحيلة وترى كيـدها الذي عبأت فيه كل قـواها يرتد، لا هزيمة ماحقة فـحسب ، بل وسخرية تضـحك منها الدنيا وخذي يجثم فوق جبينهـا...؟ إن مصيره مفروغ منه ، إنه القتل ، إذا لم تجد قـريش ما هو أشد من القتل تشـفيًا وفتكًا ، والحق أنهـا ستكون نهاية موحشة ، فالرجل الذي سيكتب عليه أن يحمل هذه التضحية لن يقتل فحـسب ، بل هو سيقتل في بلـد موحش قد خلا من كل أصـحابه الذين كانوا بالأمس يملئون فجاجه دويًا بالقرآن كدوي النحل ، سيقتل وحيدًا دون أن يجد من إخـوانه من يشيعـه ولو من بعيد ، فـمن أي طراز سيكون هذا الفدائي العظيم ، ومن أي ناحية سيجيء البطل...

إنه من بيت النبـوة يجيء إنه سليل بني هاشم وتلميـذ محـمد ﷺ.

(١) سيرة ابن هشام ج٢ ص٨١.

ورغم كل هذه المخاطر المحدقة به والتي تحيط به كما يحيط السوار بالمعصم، إلا أن البطل قام بالمهمة على خير وجه وحفظه الله ورعاه وصدق وعد الرسول له حين قال وهو يودعه [١] : لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم».

فأي نوع من هذه البطولة تكون؟!.

وهذه رائعة ثانية : من الروائع التي لا تكاد تنتهي من بطولات الإمام علي كرم الله وجهه.

الزمان : في السنة الثانية من الهجرة. المكان : جبل أحد. المعركة: غزوة أحد.

تجيء غزوة أحد حيث حشدت قريش كل بأسها وقوتها وخرجت لتثأر لقتلاها في يوم بدر ، ويملأ عليّ أرض المعركة ببطولته وبضحاياه ويسقط اللواء من يد مصعب رضي الله عنه بعد أن يبدي بطولة خارقة .

ويدعو الرسول ﷺ عليًا ليحمل اللواء. ويحمل اللواء بيده ويده الأخرى قابضة على سيفه ذي الفقار ، الذي قال عنه الرسول ﷺ : «**لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**».

ولا يكاد ابن أبي طالب يحمل اللواء حتى يبصره حامل لواء المشركين، فيصيح : ألا هل من مبارز ؟ ولا يجيبه أحد من المسلمين . ويرسل حامل لواء المشركين نعيقه مرة أخرى فينادي : ألستم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار؟ ألا فليخرج إلي أحدكم. ولم يطق علي صبرًا فصاح به : أنا قادم إليك يا أبا سعيد بن أبي طلحة فابرز يا عدو الله إليّ.

(١) خلفاء الرسول ﷺ خالد محمد خالد ص٤٥١ ط. دار ثابت.

والتقيا بين الصفوف الملتحمة تحت وقع السيوف وتبارزا فاختلفا ضربتين وضربه علي ضربة واحدة فسقط على الأرض يعالج مصرعه ومنيته، وهمّ علي أن يضربه الثانية ليجهز عليه ، فتكشفت عورته أمام علي كرم الله وجهه ، فاستحيا وغض بصره وانصرف عنه ويثني إليه سيفه ويعود إلى مكانه في الصف ، ويسأله المسلمون : لماذا لم تجهز عليه؟

فيكون جوابه : لقد استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم.

وبعد انتهاء القتال تقدم النساء المسلمات يداوين الجرحى ، ورأى رسول الله ﷺ عليًا وسط مجموعة منهن تكاد تعييهن جراحه الكثيرة حتى قلن لرسول الله ﷺ حين رأينه : يا رسول الله لا نعالج منه جرحًا إلا انفتق جرح ، فاقترب الرسول من جسده المثخن بالجراح وراح يهم في تضميده ويقول: «**إن رجلاً لقي هذا كله في سبيل الله لقد أبلى وأعزر**».

ونادى رسول الله عليًا وقال له: «**اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجذنهم**» . وتحرك علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أي ذلك كان فأخفه حتى تأتيني . وخرج علي في آثارهم ينظر ماذا يصنعون ، فلما اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل علم أنهم توجهوا إلى مكة ، فأقبل يصيح ، ما يستطيع أن يكتم الذي أمره به رسول الله ﷺ لما به من الفرح[1].

(١) أهل بيت النبي ﷺ عبد الحميد جودة السحار ص١٨ .

البطل في خيبر:

في غزوة خيبر وأمام حصنها المنيع ارتدت أول يوم كتيبة قوية يقودها أبو بكر الصديق ، ثم ارتدت في اليوم الثاني كتيبة أخرى يقودها عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلم يجزع الرسول ﷺ ، فما كان هو بالجازع قط، وإنما ألقى على الصفوف الحافلة بأصحابه وبجيشه نظرة متفائلة وقال: «**لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه**».

يقول عمر بن الخطاب ما تمنيت الإمارة قط إلا ذلك اليوم ؛ رجاء أن أكون مَن يحبه الله ورسوله. أصبح الصباح وأقبل المسلمون إلى حيث يلتقون برسولهم وكلهم شوق إلى معرفة الرجل الذي سيعطيه الراية والذي سيتم على يديه فتح ذلك الحصن الرهيب ، وشق السكون صوت رسول الله ﷺ يقول: أين علي بن أبي طالب؟

كان علي هناك وسط الزحام ، لم يخطر بباله يومئذ أن يكون هو الرجل الذي وعد الرسول أصحابه وجعله بشرى الفتح القريب ، فقال: هاأنذا يا رسول الله، وأشار الرسول ﷺ إليه بيمينه ، فتقدم البطل ورأى الرسول ما بعينه من وجع ، فبلل أنامله المضيئة بريقه الطهور ومس بها عين البطل ، ثم دعا بالراية وأمسكها ورفعها إلى أعلى وهزها ثلاثًا ثم غرسها في يمين علي وقال: «**خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك**».

دقائق لعلها لا تجاوز خمسا ولكنها تمثل حياة كاملة لا منتهى لأبعادها ولا غاية لأمجادها ، حمل البطل الراية وانطلق يهرول هو وكتيبته ، وأمام الحصن نادى : أنا علي بن أبي طالب. وتلقى علي ضربة قوية لم تصبه

بسوء لكنها أطارت ترسه من يديه ورأى نفسه يواجه فرقة مسلحة من حرس الحصن فصاح قائلاً:

والذي نفسي بيده لأذوقن مـا ذاق حمزة أو ليفـتحن الله لي ، فاندفع ولا درع معـه نحـو باب من أبواب الحصن ، ولا يدري الناس عندهـا ماذا حدث. كل ما يذكرون أن عليًا صاح : الله أكـبر ثم التفت نحوهم والباب في يده ،وندع شاهد عيان يصف لنا هذه الواقعة. إنه أبو رافع مولى رسول الله ﷺ[1] . وقد كان ضمن كـتيبة علي : لقد هممت أنا وسـبعة معي أن نحرك هـذا الباب من مكانه على الأرض فـما اسـتطعنا. وهجمت كـتيـبة الإسلام تحت قيـادة بطلها(علي)وفي وقت وجيز كانت القـوة المنتصرة تردد من شرفات الحصن الذي سقط بكل ما فـيه هتاف النصر : الله أكبر خربت خيبر.

وصدقت نبـوءة الرسول ﷺ التي قالها لابن عـمه «**خــذ هـذه الراية فامض بهـا حتى يفـتح الله عليك.**» أجل لقد فـتح الله عليه ومنحـه النصر المرتجى.

أيها القارئ الكريم ! هل عرفت البشرية شجاعة وقوة وبطولة مثل هذه قط، يقتحم حصنًا استعصى على الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان المسلمون يصلون خفية قبل إسلامه ويوم أسلم صلوا جهارًا نهارًا لفرط شجاعته وقوته، وهو الذي هاجر من مكة إلى المدينة في وضح النهار وقال هذه الكلمة الشجاعـة : من أراد أن تثكله أمه أو ترمل زوجته أو تيتم أبناؤه فليلتقي بي خلف هذا الساتر . فلم يجرء أيضًا أحد على الخروج إليه واللحوق به، ومع هذا التاريخ الحافل بكل هذه الجهود لم يستطع أن يقتحم

(١) الجهاد في الإسلام السيد أبو الأعلى المودودي بكنتان ط٤ ١٩٦٧ .

هذا الحصن المنيع ، وكذلك الصديق رضي الله عنه قاد كتيبة من أجل اقتحام هذا الحصن ، ولكن بدون جدوى ، ويأتي البطل المغوار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. صاح صيحة واحدة وقد ألقى الحصن المنيع مقاليده كأنه مع النصر على موعد.



البطل يوم الخندق:

في يوم الخندق حيث هوجمت المدينة بأربعة وعشرين ألف مقاتل تحت قيادة أبي سفيان بن حرب وعيينة بن حصن ، وكان الرسول ﷺ حين علم بخروجهم وتحركهم صوب المدينة قد استجاب لرأي سلمان الفارسي بحفر خندق حولها ، وحفر الخندق وفوجئ به جيش الشرك ، وانطلق من معسكر قريش التي أضناها اقتحام الخندق نفر من مقاتليها على رأسهم عمرو بن عبد ود من فجوة ضيقة فوقف هو ومن معه من فرسان قريش أمام المسلمين وصاح : من يبارز؟ فهتف علي : أنا له يا رسول الله . فتبسم النبي ﷺ ثم يقول له : «**اجلس إنه عمرو**» . ولكن الرجل المزهو عاد يصيح: مَن يبارز؟.

وراح يهزأ بالمسلمين قائلاً : أين جنتكم التي زعمتم أنكم داخلوها؟! أجبنتم أفلا يبرز لي منكم رجل؟!

فكان علي ينهض المرة بعد الأخرى وهو يكرر في حماس : أنا له يا رسول الله، والنبي ﷺ يشفق عليه ويقول له : «**اجلس إنه عمرو بن ود**» ولكنه ظل بالنبي ﷺ حتى أذن له ، فلما تقدم نحو عمرو سخر منه وهو يكتسحه بنظرات الاستصغار قائلاً له : من أنت؟ فيجيبه بعزة ورجولة: أنا

علي . فيقول له عمرو : أنت ابن عبد مناف ؟ فيقول : علي بن أبي طالب . فأقبل عليه عمرو مشفقًا وقائلاً : يا ابن أخي من أعمامك ؟ من هو أسن منك وإني أكره أن أهريق دمك .

فقال له علي : ولكني والله لا أكره أن أهريق دمك ولكني أذكرك يا عمرو بما ينفعك ويعصم دمك ، إنك كنت تعاهد قومك ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحسنهما . قال عمرو : أجل . فقال علي : فإني أدعوك إلى الإسلام أو إلى النزال . فقال عمرو مستصغرًا لشأن علي : ولم يا بن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك . ثم غضب وأهوى بسيفه عليه يريد أن يذهب به بضربة واحدة ، ولكن عليًا راوغه وما زال به حتى خر الرجل - عمرو - صريعًا تحت قدميه فكبر المسلمون تكبيرة تفيض بنشوة النصر ، ثم استقبلوا عليًا مهللين مكبرين تستقبلهم تحيات شاعر الإسلام بقوله :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ∴ ونصرة رب محمد بصواب
لا تحسبن الله خاذل دينه ∴ ورسوله يا معشر الأحزاب

وعندما علمت ابنة عمرو بقتله سألت عن قاتله ، فلما علمت أنه علي وجدت عزاءها في أن الذي قتله فتى لا يشق لشجاعته غبار .

وذهبت ترثيه شعرًا فتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله ∴ بكيته أبدًا ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له ∴ وكان يدعو أبوه بيضة البلد

• • وتعليقًا على هذا إن جاز لنا التعليق:

إن في هذه الموقعة تتجلى البطولة في أوج قمتها فحينما اقتحم عمرو الخندق وطلب المبارزة كان الحاضرون من المسلمين يعرفون من هو عمرو بن ود إنه فارس الجزيرة العربية الذي كان يقوم بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه، ويشهد على ذلك إشفاق رسول الله ﷺ على علي كلما قام وقال : أنا له يا رسول الله . وفي كل مرة يقول له :«**إنه عمرو**» ولكن شجاعته أبت عليه أن يستكين، وكان في إمكانه أن يسكت ويلوذ بالصمت ولن يشينه ذلك؛ لأنه لا زال حدثًا في سنه ولكنها الشجاعة والبطولة . ألم نقل من قبل : إنه سليل بيت النبوة؟.



• موقعة الجمل:

قدم أهل الكوفة على الإمام في مكان يسمى ذي قار. فدعا القعقاع ابن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له : الق هذين الرجلين وهما(الزبير وطلحة)يا ابن الحنظلية ، فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظِّم عليهما الفرقة، فخرج القعقاع بن عمرو حتى قدم البصرة ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها وقال : أي أمه ما أخرجك وما أقدمك هذه البلد؟. فقالت: إصلاح بين الناس ثم خرج إلى طلحة والزبير وحاورهما وجادلوه حتى كاد أن يقضي على الخلاف ويجمع الفراق. ولكن دسائس اليهود لا تنتهي ، فبعد أن هدأ الجميع وأفاؤوا إلى كلمة الحق. قام عبد الله بن سبأ اليهودي المتأسلم فهاهو يجتمع بنفر ممن مشوا إلى عثمان وراحوا يديرون قداح الرأي بينهم فقالوا :

ما الرأي وهذا والله علي وهو أبصر الناس بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر إليه سوانا والقليل من غيرنا.

فقال أحدهم : رأي الناس فينا والله واحد فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان ، فتعود فوضى كما كانت ، فقال ابن سبأ : بئس الرأي رأيت . واستمر القوم في حوار مضني وكاد عقدهم ينفرط دون أن يتخذوا قرارًا فقال أحدهم : أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ولا تؤخروا أمرًا ينبغي لكم تعجيله. ولا تعجلوا أمرًا ينبغي لكم تأخيره ، فإنا عند الناس بشر المنازل فما أدري ما الناس صانعون غدًا إذا ما هم التقوا . فقال ابن السوداء ما كان قد بيت عليه العزم قال : إذا التقى الناس فأنشبوا القتال فيهم ولا تفرغوهم للنظر . فأعجبهم الرأي ونفذوا هذا الرأي في خبث ودهاء . ونزل الإمام علي كرم الله وجهه قرب جيوش عائشة وطلحة والزبير ، وبدأت الرسل تجري بين الفريقين وأصبح الصلح أمرًا مؤكدًا ، وأقبل الليل ونام الناس وراح ابن سبأ يعمل على إنفاذ ما بيت بالليل ، فوضع رجلاً قريبًا من علي ، وقبل أن يتنفس الصبح خرج أتباع ابن سبأ يضعون في الناس سيوفهم ، فخرج الإمام يسأل : ما الخبر؟فقال الرجل الذي وُضع بجوار الإمام علي كرم الله وجهه : ما فجئنا إلا والقوم فيتون فرددناهم من حيث جاؤوا فعملوا فينا السيف.

فدعا علي صاحب ميمنته وميسرته وقال : لقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة ،واستمر السبئيون ينشبون القتال وعلي يصيح : أيها الناس كفوا . وأُخرجت أم المؤمنين السيدة عائشة على جمل وأخذت تدعو على قتلة عثمان . فسمع الإمام

جلبة فـقال : ما هذا ؟قـيل : إن عائشة تـدعو على قتلة عـثمان . فـقال الإمام: اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم[١].

فخرج عمار بن ياسر بين الصفين فـقال : أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كفـفتم عتقاء تلك الخدور وأبرزتم عـقيلته للسيوف. فـرشقوه بالنبل وتواتر عليه الرمي واتصل ، فحرك فرسه وزال عن موضعه وقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب؟.

فخـرج علي بنفسه حـاسرًا على بغلة رسول الله ﷺ لا سـلاح عليه فنادى : يا زبير اخـرج إليّ . فخرج شـاكيًا في سلاحـه. فقيل لعـائشة، فأحست رعـبًا فقد كـانت تعلم أن مصير من يخـرج لابن أبي طالب تجرع كأس المنون. وأشفقت على زوج أختها فقالت واحرباه بأسماء . قيل : إن عليًا حاسر فاطمأنت وسكن روعها . واعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال له علي في عتاب : ويحك يا زبير ما الذي أخرجك ؟ قال : عثمان . قال الإمام علي : قتل والله أولانا بـدم عثمان ، أما تذكـر يوم لقيت رسول الله ﷺ في بني بياضـة وهو راكب حماره فضحك رسـول الله وضحكت أنت معه فقلت أنت: يا رسـول الله ما يدع علي زهوه. فقال لك : «**لـيس بـه زهو أتحبه يا زبير؟**» فقلت : إني والله لأحبه فقال لك : «**إنك والله ستقاتله وأنت له ظالم**». قال: أستغفر الله لو ذكرتها ما خرجت . ولكن لامه ابنه أشد مـا يكون اللوم حتى وصفـه بالجبن ، فهاجـوه وثارت ثائرات الزبير ، فأمال سنانه وشد في الميمنة وفطن علي إلى مـا يكابده الزبير فقال لرجاله :

---

(١) أهل بيت النبـوة. عبد الحـميد جـودة السحار. ص١٥٠ -١٥٣ ، أبـناء الرسول في كربلاء . خالد محمد خالد ص٩٥ .

اخرجوا له فقد هاجوه. ثم رجع الزبير فشد في الميسرة ثم رجع فشد في القلب ثم عاد إلى ابنه فقال : أيفعل ذلك جبان؟! ثم مضى منصرفًا واشتدت المعركة فزحف الإمام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه الحسن والحسين ومحمد. ودفع الراية إلى محمد وقال : تزول الجبال ولا تزول عض على ناجذك أعز الله بجمجمتك واعلم أن النصر من عند الله عز وجل .

وتقدم محمد فرشقوه بالسهام ، وتريث محمد قليلاً فبعث إليه : احمل عليهم. وانتظر الإمام أن يبدأ ابنه المناجزة فجاءه من خلفه وقال له أقدم لا أم لك.

قال : يا أمير المؤمنين! أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر - أي أنها تنزل علي متواصلة - ثم أدركت علي رأفة على ابنه فأخذ منه الراية بيده اليسرى وسيفه مشهور - ذو الفقار - في يمينه ثم قال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد　　لا خير في الحرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسدد

وحمل علي فغاص في عسكر الجمل ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته . فقال له أصحابه وبنوه : نحن نكفيك يا أمير المؤمنين. ودارت رحي المعركة الرهيبة ، فحمل الإمام حملة ثانية فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قدمًا قدمًا ، والرجال تفر من بين يديه حتى انحنى سيفه وتعلق به أصحابه حتى قالوا له :

إن تُصب يذهب الدين ونحن نكفيك . فقال : والله ما أريد بما ترون إلا وجه الله [١].

واستمرت المعركة واشتـدت وبدأت الهزيمة تدب في صفوف عائشة ، فالتف الناس حول الهودج ،وأقبل عـلي وعمار و الأنصار يريدون الجمل ، فاقـتتل الناس حولـه حتى حال بينهم الليل. ونـشب القتال وكـان الهودج هدف الإمـام ورجاله، ورأى طلحـة انهزام جـيشـه وأنصاره فـرفع يده إلى السماء وقال : الـلهم إن كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فـخذ له اليوم منا حتى ترضى.

ورأى مروان بن الحكم تضعضع روح طلحة ، فخشي أن تدور عليهم الدوائر لو انسـحب كما انـسحب الزبيـر فقال : لا أبالي إن رمـيت هنا أو هاهنا، فرمـاه في أكحلة فـوقع صريعًا يجـود بأنفاسـه ، ورأى علي ثبات الناس حول الجمل فهتف قائلاً : اعقروا الجمل . وحمل الناس على الجمل وضربه رجل فأسقطه فـتقار الناس حوله ، فأسرع القعقـاع ونفرُ معه بإنزال الهودج عن ظهـر البعيـر ، وتركوه بين القتلـى وكأنه قنفذ مما رُمي فـيه من النبل ، وأمر علي ابن أبي بكر أن ينطلق إلى أخته ليحملها بعيدًا عن القتلى وقال له: انظر هل وصل إليها شيء ، فانطلق محـمد وعمار بن ياسر حتى أتيا الهودج فأدخل رأسه فيـه فقالت عائشة :من أنت؟ويلك. وهدأت نفس عائشـة ونظرت إلى محمـد وغمغمت وقـالت : الحمد لله الذي عـافاك ، وحمل الهـودج من بين القتلى ووضـعوه بعيـدًا ينتظرون أوامر علي فـيه ، وأقبل الليل بـسدوله وجاء علي في يده مـشعلة يتفـقد القـتلى ، فلما رأى

(١) تاريخ الأمم والملوك ابن جرير الطبري ص ١٢١ ط الحسينية مصر.

طلحة ظهر الحزن في وجهه واستمر يتصفح القتلى ويستغفر لهم ، ثم أمر فجمعوا ليصلى عليهم أجمعين ، وانتهى إلى عائشة فقال لها : أي أمه غفر الله لنا ولكم. قالت : غفر الله لنا ولكم.



● البطل في صفين:

الزمان : السنة السادسة والثلاثين . المكان : صفين . والتقى الجيشان في وقعة صفين ودارت المعارك وطالت واستطالت حتى عجت الأرض بالدماء وغطتها جثث الضحايا ، وجزع الإمام لكثرة الضحايا ، وفي سبيل أن يحسم الأمر ويصون الدم تقدم فوق جواده من صفوف معاوية وناداه ليخرج إليه فما خرج . فلما فرغ من قتال ذلك اليوم كتب إليه كتابًا بعث به إليه : يا معاوية لم تقتل الناس بيني وبينك؟ ابرز إلي فأينا قتل صاحبه تولى الأمر من بعده . واستشار معاوية صديقه عمرو بن العاص . فقال له: لقد أنصفك الرجل فابرز إليه.

فأغضبته مشورة عمرو ووجد فيها إحدى مكايده للتخلص منه ؛ لأنه يعلم أن عليًا ما بارز أحدًا إلا صرعه ، ولكي يبعد عمرو هذا الخطر المزعج عن معاوية قال له : إني خارج إلى علي غدًا فمبارزه ، وفي اليوم التالي وقد تأهب كلا الجيشين لاستئناف القتال وقف عمرو ونادى الإمام عليًا لمبارزته ، وخرج الإمام إليه وتبارزا وهما فوق فرسيهما ، وبينما الإمام يهوي بسيفه على عمرو ليجلله به قذف بنفسه على الأرض وتمدد عليها في استسلام وفزع وضراعة ، فألقى عليه الإمام نظرة الظافر الكريم ورجع عنه لم يصنع به شيئًا ، وقيل : إنه كشف عن سوءته فأعرض عنه الإمام فسئل

في ذلك فقال: كيف أقتل رجلاً جزع من الموت حتى كشف عن سوءته[1].

من المعلوم أن الإمام يعرف ويدرك جيدًا أن عمرو بن العاص هو الرأس المدبرة والعقل المفكر لمعاوية، وقد تمكن منه ويمكنه أن يتخلص منه في لحظة، وبذلك يقص جناحا معاوية التي يحلق بهما في الفضاء، ولكن بطولته وشجاعته ورجولته أبت عليه ذلك، وقال هذه الكلمة الخالدة: كيف أقتل رجلاً كشف عن سوءته جزعًا من الموت. ولو حفظ عمرو للإمام هذا الصنيع الجليل وتخلى عن شغفه البالغ بالإمارة لأخذت مسيرة الصراع وجهة أخرى، لكنه لم يفعل ويا ليته فعل، كان قد جنب الأمة الإسلامية ويلات كثيرة.

وظلت رحى الحرب دائرة تطحن الفريقين وكان فارس معاوية الذي يعده لكل مبارزة ولكل عظيم وهذا الفارس يسمى (حريث) كان مولاه وكان يلبس سلاح معاوية متشبهًا به، فإذا قاتل قال الناس: ذلك معاوية. وفي ذات يوم دعاه فقال: يا حريث اتق عليًا وضع رمحك حيث شئت. فأتاه عمرو بن العاص وقال: يا حريث إنك والله لو كنت قريشيًا لأحب معاوية أن تقتل عليًا، لكن كره أن يكون لك حظها فإن رأيت فرصة فاقتحم، وامتلأ العبد غرورًا وصدّق ما قاله له ابن العاص وحسب أنه كفء للإمام، فخرج وقال:

يا علي هل لك في المبارزة ؟ فأقدم أبا الحسن إذا شئت. فأقبل عليه وهو يقول:

(١) خلفاء الرسول ﷺ. خالد محمد خالد. ص٥١٧. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية. ص١٨٩ الشيخ محمد الخضري بك، المكتبة التجارية الكبرى بمصر الطبعة الثامنة، سنة ١٣٨٢ هجرية.

أنا علـي وابن عــبــد المطلب ∴ نحن لـعـمــر الله أولى بالـكتب
منا النبي المصـطفى غيـر كـذب ∴ أهل اللـواء والمقــام والحـــجب
نحن نصـرناه عـلى كل العـرب ∴ يأيهـا الـعـبـد العـزيـر المنتـدب
اثبت لنا يا أيها الكلب الكلب

ثم خالطه فـما أمهله أن ضربـه ضربة واحدة فقطعـه نصفين ، ورأى معاوية مـا حل بفارسه فجـزع جزعًا شديدًا ، وخـرج رجل آخر إلى علي فجدله الإمام.

الفصل الحزين : نهاية البطل العظيم

بداية النهاية

كانت فطام ابنة الشـجنة كما قـال واصفوها أنهـا كانت فائقـة الحسن رائعة الجمال، لكن قلبها كان ينطوي على المقت لابن أبي طالب ، فقد قتل أباها وأخاها في موقعة تـسمى (يوم النهر) فكانت لا تفكر إلا في قتل علي والثأر لأهلها.

أخذت تثير رجال قومها ، فلم تجد من يقوم بأمرها ، فانتظرت ترقب السوانح لعلها تجد فرصة تشـفي غليل نفسها ، وفي يوم جاء ابن ملجم إلى أصحاب له ، فـوجد فطام عندهم فأسره جمـالها فخفق لها قلبـه وشغلته حتى كادت تنسيه حاجته.

وتمكن حب فطام من قلب ابـن ملجم فتـقدم يخـطبهـا فقـالت : لا أتزوجك حتى تشفي لي قـال: وما يشفيك ؟ قالت: ثلاثة آلاف وعـبد وقينة

وقتل علي بن أبي طالب ، فأجابها بقوله : أما الآلاف الثلاثة والعبد والقينة هذه الثلاث هي مهـرك. فأما قتل علي بن أبي طالب فـهو غاية المنى ، بل ألتمس غرته ، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ويهنئك العيش معي. وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها.

فوالله ما جـاء بي إلى هذا المصر إلا قتل علي فلك مـا سألت ؛ لأنه كـان من الموتورين . ثـم قـالت فطام : إني أطلب لك مـن يسند ظهـرك ويساعدك أمرك ، وأقام ابن ملجم عنـد فطام ومرت الأيام ولم ينفذ ما عزم عليه ، فاستولت عليها الوساوس وخشيت أن يحجم عما عزم. فالتفتت إليه وقالت : لطـالما أحببت المكث عـند أهلك وأضربت عن الأمـر الذي جئت بسببه.

قال : إن لي وقـتًا واعـدت فيه أصـحابي ولن أجـاوزه. وخرج ابن ملجم فلقيـه رجل من أشجع الخـوارج فقال له : هل لك في شـرف الدنيا والآخرة؟

قال الرجل : ومـا ذاك. قال ابن ملجم : أتساعـدني على قتل علي؟ وقد دار حوار بين الرجلين وهذا نصه :

حين أفصح ابن ملـجم عن نيته الخـبيثـة ونفسه اللـئيمـة لهذا الرجل الشـجاع قـال : ثكلتك أمك لقـد جئت شـيئًـا إدًا. قد عـرفت غناءه في الإسلام وسابقـته مع النبي ﷺ. فقـال له ابن ملجم : ويحك أما تعلم أنه قد حكم الرجال في كتاب الله وقتل إخواننا المصلين؟ فنقتله ببعض إخواننا.

قال الرجل وقـد لقيت الفكرة والنيـة السيئة هـوى في قلبه المريض : وكيف تقدر ويحك على قتل علي بن أبي طالب؟!

قال ابن ملجم : نكمن له في المسـجد فإذا خرج لصلاة الفـجر نقتله ونشفي أنفسنا منه وندرك ثأرنـا منه ، ولم يزل به حتى أجابه ، وذهب ابن ملجم وشبيب بن بجـرة إلى فطام وهي في المسجد معتكفة فـقالا لها : قد أجمع رأينا على قتل علي بن أبي طالب. قالت : فإذا أردتم ذلك فأتوني.

ووافى اليوم الذي تواعد فـيه الخوارج على قتل علي ومعـاوية وعمرو ابن العـاص ، فـدخل ابن ملجم على فطام فـقـال لها : هـذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل واحد صاحبه. وجاء شبيب فأعلمتهما أن مجاشع بن وردان قـد انتدب لقتله معهـما ودعت لهم بالحرير فعصـبتهم به وأخذوا أسيافهم وانطلقوا إلى المسجد لاغتيال أمير المؤمنين.

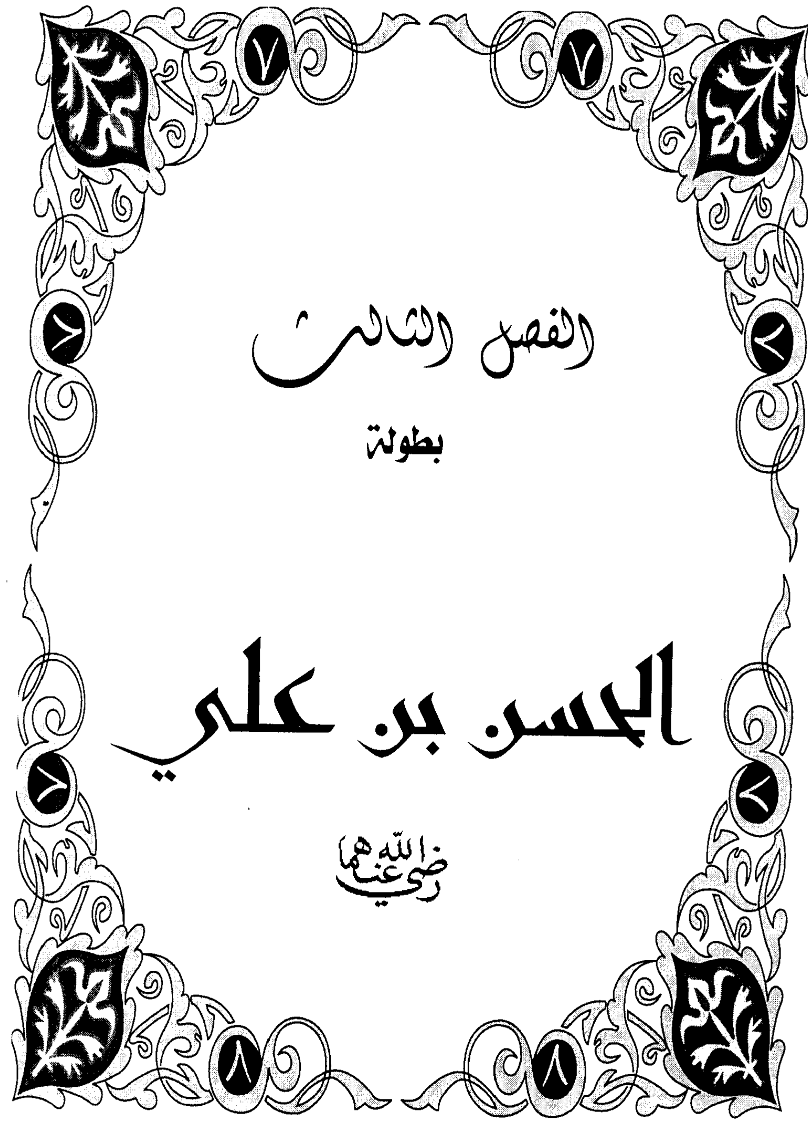
الناس يصلون قريبًا من السدة من أول الليل إلى آخره ، وخرج الإمام علي كـرم الله وجـهه لصـلاة الغـداة فجـعل ينادي : أيهـا الناس الصـلاة الصــلاة، وتألق بـريق وصـــاح صـائـح :الحكم لله يا عـلي لا لك ولا لصاحـبك. ثم تألق سيفـه آخر وقال: أمـير المؤمنين قـال:لا يفوتنكم هذا الرجل.

وشد الناس علـى ابن ملجم من كل جانب حـتى أخذوه وطرح رجل شبيبًا فصرعه وجلس على صدره وأخذ السيف من يده ليقتله. فرأى الناس يقصـدون نحوه فـخشي أن يعـجلوا عليـه فوثب عن صـدره وخلاه وطرح السيف من يده ومضى شبيب ففاته فخرج هاربًا وفر مجاشع قبل أن يقع في أيدي الناس.

وحُمل الإمام حتى إذا ما استقر في داره قال : عليَّ بالرجل . فأدخل عليه فـالتفت إليه وقـال : أي عدو الله ألم أحسن إليك؟ قـال: بلى قال : .

فما حملك على هذا ؟ قال : سيفي شحذته أربعين صباحًا وسألت الله أن أقتل به شر خلقه. قال الإمام : لا أراك إلا مقتولاً به ولا أراك إلا شر خلقه. ونظر الإمام إلى الحسن وقال : أطيبوا طعامه وألينوا فراشه ، فإن أعش فأنا وليُّ دمي ، إما عفوت وإما اقتصصت ، وإن أمت فألحقوه بي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين. وخرج الحسن بابن ملجم وهو مكتوف، فخرجت أم كلثوم تبكي وتقول : يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين. قال : ما قتلت أمير المؤمنين ولكن قتلت أباك. ثم ولم تبكين إذًا ؟والله لقد أرهفت السيف ونفيت الخوف وأوجبت الأجل وقطعت الأمل وضربت ضربة لو كانت بأهل الشرق لأتت عليهم.




الفصل الثالث
بطولة
الحسن بن علي
رضي الله عنهما

اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ويقينًا صادقًا ...
حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته لي.
ورضى بما قضيت علي يا ذا الجلال والإكرام .
يا من له الخير كله أسألك الخير كله وأعوذ بك من الشر كله .
فإنك أنت الغني الغفور الرحيم.

من دعاء سيدنا آدم عليه السلام

من المعلوم عند العـامة أن البطولة لا تكون إلا بتـجريد السـيف ورفع الحسـام والسباق في سـاحة الوغى وضرب الأعناق ومـعانقة الموت وقـضاء الحـيـاة ما بين الفـر والكر ، تـلك هي البطولة في نظر العـامـة ، هذا من ناحية ٠

ومن ناحيـة أخرى فـإن للبطولة معنى آخـر ألا وهو : الشجـاعة في الموقف وتقدير الأمور حق قدرها حقنًا للدماء وحفاظًا على حياة المسلمين ، تلك هي قمـة الشجاعة وزروة سنامـها ٠ ولم يكن يتحل بهـذه الخصال إلا النذر اليسير من الرجال الذين تحلو بالأخلاق الجميلة والشجاعة النادرة ٠

فكان الحسن بن علي رضي الله عنهـما من هذا الطراز النادر الذي ندر أن جـاد الزمـــان بمثله ٠ وهذه بعض الأمـثـلة التي توضح لنا هـذه البطولة والشجاعة النادرة والنماذج الباهرة :

ما أورده الإمام العـلامة ابن كثير رحـمه الله أن الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد استشهاد الإمام علي كرم الله وجهه ولم يعين أحدًا للخلافة، فأجلس الناس الحـسن رضي الله عنه وبايعوه ٠ فـخرج إلى مـعاوية بن أبي سفيان بكتائب مثل الجبال ، فلما علم بذلك عمرو بن العاص قال لمعاوية : إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانيهـا ٠ فقال له معاوية : أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء ، وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس ؟من لي بنسائهم؟ من لي بضـيعـتهم؟ فـبعث إلى الحـسن بن علي من أجل الصلح ، وبعـد مداولات بين الطرفين كان الصلح[1] ٠

(١) البداية والنهـاية ٠ ج٦ ص٢١٩ ط مكتبة المـعارف بيروت، أبناء الرسـول في كربلاء، خالد محمد خالد ص٥١ بتصرف يسير ٠

• • وتعليقًا على هذا :

يقول الحسن البصري رضي الله عنه : استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال على الرغم ما كان بأهل الكوفة من تردد ، فقد كان تحت تصرف الحسن حين آثر السلام أربعون ألف مقاتل يشكلون جبهة واحدة قوية وجامدة . تحت إمرة رجل من أعظم رجال الإسلام وقواده ، ذلكم هو قيس بن سعد بن عبادة .

ولقد كانوا مصممين على مواصلة الحرب ضد معاوية تصميمًا حمل بعضهم على مجابهة الحسن حين رأوه يعتزم الصلح وإقرار السلام مجابهة قوية وعنيفة رغم حبهم له وتوقيرهم إياه . هو إذن لم يؤثر السلام على ضعف ولا عن عجز ولا عن جبن وخور عزيمة ، ولكن عن شجاعة وبطولة نادرة من نوع خاص .

وهذا موقف آخر للحسن بن علي سار الحسن بمن معه حتى نزل ساباط ، وجاء الليل فنظر إلى عسكره وأطرق وبان في وجهه هم ثقيل ، إنه يخشى إهراق دماء المسلمين وإنه يخشى أن يسأله الله فيم أهراق دماءهم . وأمسى طوال ليله ينظر في أمره ، فلما أصبح الصباح نادى في الناس : الصلاة جامعة .

• • حب رسول الله ﷺ له :

الحسن بن علي رضي الله عنه وعن أبيه . هو أعلم من أن يذكر وأوضح من أن يعرف وأظهر من أن يخفى وأجمل من أن يوصف وأوضح من أن يعلم كنيته ، أبو محمد القرشي الهاشمي سبط رسول الله ﷺ ابن فاطمة الزهراء وريحانته وأشبه خلق الله به في وجهه ، ولد رضي الله عنه

في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة النبوية بمدينة جدهِّ العظيم ﷺ، فحنكه الرسول ﷺ بريقه وسماه حسنًا وهو أكبر ولد أبويه، وكان رسول الله ﷺ يحبه حبًا شديدًا حتى كان يقبل زبيبته وهو صغير ، وربما مص لسانه واعتنقه وداعبه ، وربما جاء الحسن ورسول الله ﷺ ساجد في صلاته فيركب على ظهره فبصره على ذلك ويطيل السجود من أجله وقد يصعد معه على المنبر ·

وقد ثبت في الحديث أنه عليه السلام بينما هو يخطب إذ رأى الحسن والحسين مقبلين ، فنزل إليهما فاحتضنهما وأخذهما معه إلى المنبر وقال : «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] **إني رأيت هذين يمشيان ويتعثران فلم أملك أن نزلت إليهما**» · ثم قال : «**إنكم لمن روح الله وإنكم لتبجلون وتحببون**» · فرسول الله ﷺ يخاطب ريحانته وأحفاده قائلاً لهما: «**إنكم لتكرمون ويحبكم الناس ويوقرونكم**» ·

وقد كان هذا وأكثر ، وثبت في صحيح البخاري عن أبي عاصم أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بهم العصر بعد وفاة النبي ﷺ ، ثم خرج هو وعثمان وعلي يمشيان فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على عنقه وجعل يقول : بأبي أنت يا حسن شبه النبي ﷺ وليس شبه بعلي وعلي يضحك ·

ومن العجيب ما روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: إن الحسن شبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه برسول الله ما أسفل من ذلك · وبهذا تواترت الأقوال ·

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله إلى سوق

بني قينقاع متكئًا على يدي ، فطاف فيها ثم رجع فاحتبى في المسجد وقال : «**أين لكـاع ادعـوا لـي لكاع**» . فجاء الحسن فاشتد حتـى وثب في حبوته فادخل فمه فـي فمه ثم قال : «**اللهم إني أحبـه فأحبه وأحب من يحبه**» . ثلاثًا . قال أبو هريرة :ما رأيت الحسن إلا فاضت عيني . هذا الحديث على شرط الإمام مسلم .

فهذا الصحابي الجليل يصف لنا مـشهدًا من مشاهد الحب والحنان التي ربما تكون نادرة ، ولكن حـينما تصدر مـن رسول الله ﷺ لا تكون نادرة؛ لأنه نبي الرحمـة وينبوع الحب والحنان ، فـيسأل عن حـفيـده الغالي وعنه سبطه فيقـول : أين لكاع مرة ومرة ، وحينما دخل عليه الحـسن التزمه وأخذ يقبله بحرارة الأب أو أشد ، وشـرع في الدعاء له قائلاً : «**اللهم إني أحـبه فأحبـه وأحب من يحبه**» ثلاثًا ، فكان أبو هريرة رضي الله عنه يقـول : ما رأيت الحسن إلا فـاضت عيني بالدمع . ومـا زالت بركة دعوة الحـبيب ﷺ لحفيـده لها أثر حتى اليـوم وإلى أن تقوم الساعة ، وهذه مـشاهد من حب المسلمين في مشارق الأرض ومغـاربها لآل بيت النبي ﷺ . وما زال رسول الله ﷺ يغمـرهم بفيضـان حبه وحنانـه الذي لا قرار له ولم أكن مبـالغًا إذ قلت : بحر حبه الفياض .

فـقـد روى الإمـام أحمـد في مـسنده عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسـول الله ومعه حسنه وحسيـنه هذا على عاتقه وهذا على عاتقـه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حـتى انتهى إلينا فـقال له رجل : يا رسول الله، إنك لتحبهما . فقال : «**من أحبهما فقـد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني**» . (تفرد به أحمد) .

وروى النسائي : كان رسول الله ﷺ يصلي فجاء الحسن والحسين فجعلا يتوثبان على ظهره إذا سجد فأراد الناس زجرهما ، فلما سلم قال للناس : «**هذان ابناي من أحبهما فقد أحبني**» (رواه النسائي) .

وروي عن يعلي بن مرة قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده تحت رقبته ثم ضمه إلى إبطه ، ثم جاء الآخر فجعل يده إلى الأخرى في رقبته ثم ضمه إلى إبطه وقبّل هذا ثم قبّل هذا ثم قال : «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**» ثم قال : «**أيها الناس إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة**» .

وروى أحمد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : «**إن ابني هذا سيداً ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» ، وقد وقعت نبوءة سيد المرسلين ﷺ وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة إحدى وأربعين هجرية(٤١ هـ) .

• السيد يفرض السلام:

بعد أن ناد : الصلاة جامعة . وقف الحسن والأبصار شاخصة إليه والأنفاس معلقة بشفتيه اللتين لا يدري أحد عن أي نوع من القول ستنفتحان . وجاءت كلماته في تلك المناسبة على وفاق سعيد ومجيد مع صاحبها العظيم ، قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهل له:

أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، ألا إن أكيس الكيس التقى وإن أعجز العجز الفجور وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه ومعاوية إما أن يكون أحق به مني فقد تركته له .

وإما أن أكون أحق به منه فقد تركته لله عز وجل ولخير أمة محمد

ﷺ، وحقن دمائها .

ثم التفت إلى معاوية وقال: وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ومضى كل إلى سبيله ، معاوية إلى الشام عاصمة ملكه العريض وأبا عبد الله الحسن بن علي إلى مدينة جده العظيم عليه السلام ، قرير العين بما حقن من دماء ، عظيم الغنم بما بذل من فداء ، مرددًا كلماته المضيئة هذه حينما سئل من ابن نقير الحضرمي قائلاً له : إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة .

فكان جوابه : قد كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله ثم أثيرها ثانية؟ .

ولما قيل له : ابن معاوية يزيد يتوعدك . فماذا قال؟ قال : قد كنت على النصف منه ،ولكن خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفًا أو ثمانون أو أكثر أو أقل تنضح أوداجهم دمًا كلهم يستعدي الله فيم أهريق دمه؟[1]

لأنه تذكر الدماء التي سالت في صفين والنساء التي رملت والأطفال التي يتمت فكره أن يسوق الناس إلى الموت مرة أخرى فقعد عن الخروج .

وظن معاوية أن الحسن بن علي كرم الله وجهه يمكن أن يستميله ، فكتب إليه : قد علمت أني أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الأمة تجربة وأكثر منك سنًا، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألت ، فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدي ولك ما في بيت مال العراق من المال بالغًا ما يبلغ لحمله إلى حيث أحببت ولك إلا يستولي عليك بالإساءة ولا تقضى دونك الأمور وتعصى في أمر أردت به طاعة الله .

(١) البداية والنهاية ج٨ ص٤٢ .

أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام.

ولكن الحسن لم يرد جوابًا عن هذا ، فقد راح معاوية يمنّيه الدنيا وما كان الحسن يطلب الدنيا ، إنه كان يخشى إهراق دماء المسلمين وهذا السبب الوحيد هو الذي جعله يحجم عن أن يقود الجيوش لقتال معاوية وأهل الشام، فترك قتاله شجاعة وإقدام.

مع أن هذا الصنيع لم يعجب بعض قواده الذين رأوا في هذا الأمر ضياع لحقوق المسلمين ودمائهم ، علمًا بأن الحسن رضي الله عنه كان ينفذ قدرًا مقدورًا .

لقد أخبر بهذا جده العظيم المصطفى ﷺ حيث قال : «**إن ابني هذا سيدًا وعسى الله أن يصلح به بين طائفتين من المسلمين**».

والآن يجيء الأوان المناسب أوفى ما تكون المناسبة لتحقيق هذه النبوءة الصادقة.

ومن هؤلاء القادة العظام : قيس بن سعد قال لأهل العراق : اختاروا إحدى اثنتين : إما قتال مع غير إمام ، وإما أن تبايعوا بيعة ضلال. قالوا : بل نقاتل بلا إمام ، فخرجوا فحاربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم، فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه ، فكتب إليه قيس قائلاً : لا والله لا تلقاني أبدًا إلا بيني وبينك الرمح والسيف. واعتزل قيس في أربعة آلاف فارس ، فأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكره الله ويقول : على طاعة من تقاتل وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك؟ فأبى قيس أن يلين له ، فبعث إليه معاوية سجلاً قد ختم إليه في أسفله. فقال : اكتب في هذا السجل ما شئت فهو لك . قال عمرو لمعاوية : لا تأته هذا فقاتله.

قال معاوية لعمرو بن العاص : على رسلك فإنا لا نخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام ، فما خير العيش بعد ذلك. وإني والله لا أقاتله أبدًا حتى لا أجد من قتاله بدًا. فلما وصل إلى سعد ذلك السجل اشترط ابنه قيس فيه له ولشيعة علي الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال ، ولم يسأل معاوية في سجله ذلك مالا لنفسه أو لغيره ، وكانت شجاعة قيس نادرة فقد جيء به ليبايع فقال قبل أن يدخل على معاوية : إني حلفت ألا ألقاه إلا وبيني وبينه الرمح أو السيف. فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينه وبينه ليبر يمينه. ودخل قيس ليبايع فأقبل الحسن فقال : أفي فعل من بيعتك ؟ قال الحسن: نعم فبايع ولم يمد يديه إلى معاوية ومعاوية يرفع يده ويتمسح بيدي قيس[1].

وهذا أيضًا نموذج فريد في الشجاعة في الرأي والإقدام في الحرب ممن وقفوا في صف الإمام علي كرم الله وجهه ومع الحسن بن علي من بعد أبيه، فأبلوا بلاءً حسنًا ، إنه عبد الله بن هاشم بن عتبة رضي الله عنه. ذات يوم بعث معاوية زيادًا على البصرة واليًا عليها وكتب إليه : أما بعد. ننظر عبد الله بن هاشم بن عتبة فشد يده إلى عنقه ثم ابعث به إلي ، ونادى منادي زياد في البصرة قال : أمِن الأسود والأحمر بأمان الله إلا عبد الله بن هاشم بن عتبة ففر عبد الله ومكث معاوية يطلبه أشد الطلب ، فقد كان يريد أن يضع يده عليه ، فما نسي تحريضه لأهل العراق في صفين بعد أن قتل أبوه ، وظل مدة لا يعرف له خبرًا حتى قدم عليه رجل من أهل البصرة فقال له : أنا أدلك على عبد الله بن هاشم ، اكتب إلى زياد فإنه عند فلانة المخزومية. فقام من فوره فكتب : من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين

(١) أهل بيت النبي ﷺ. عبد الحميد جودة السحار ص٢٦٧ -٢٦٩ .

إلى زياد بن أبي سفيان ، أما بعد .

فإذا أتاك كتابي هذا فاعمد إلى حي بني مخزوم ففتشه دارا دارا حتى تأتي إلى دار فلانة المخزومية -وسماها باسمها- فاستخرج عبد الله بن هشام منها فاحلق رأسه وألبسه جبة شعر وقيده وغل يده إلى عنقه واحمله على قتب بعير بلا وطاء ولا غطاء وأقدمه إلي .

وقبض زياد على عبد الله فبعث به إلى معاوية مغلول اليدين فلاقى في سفره نصبًا كثيرًا ، ودخل دمشق في يوم الجمعة وهو اليوم الذي خصصه معاوية لأشراف قريش وأشراف الشام ووفود العراق ، فلم يشعر معاوية إلا وعبد الله بين يديه وقد ذبل وسهم وجهه ، فعرفه معاوية ولم يعرفه عمرو ابن العاص ، فقال معاوية: يا أبا عبد الله أتعرف هذا الفتى ؟ قال : لا . قال: هذا ابن الذي يقول في صفين :

أعور يبغي أهله محلاً　　　قد عالج الحياة حتى ملا

لابد أن يغل أو يفلا

وإنه لهو دونك الضب المضب فأشغب أوداجه ، ولا ترجعه إلى أهل العراق فإنهم أهل فتنة ونفاق وله مع ذلك هوى يرديه وبطانة تقويه ، والذي نفسي بيده لئن أفلت من حبائلك ليجهزن إليك جيشًا تكثر صواهله .

فقال عبد الله في شجاعة نادرة وهو في قيده : يا بن الأبتر هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين ونحن ندعوك إلى البراز وتلوذ بشمائل الخيل كالأمة السوداء والنعجة القوداء أما أن قتلتني قتل رجل كريم المغيرة حميد المقدرة ، فقال عمرو : أما والله لقد وقعت ولا أحسبك منفلتا من مخالب أمير المؤمنين . قال : إن أُقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه ، أما والله

يابن العاص إنك لبطر في الرخاء جبان عند اللقاء غشوم إذا وليت هيّاب إذا لقيت. فقال معاوية: ألا تسكت لا أم لك.

قال : يابن هند أتقـول لي هذا ؟! والله لو شئت لأعرفن جـبينك ولا أقيمنك وبين عينيك وسم يلين له أخداعك أبا أكثر من الموت تخوفني؟.

فقـال معاوية في لين : أو تكف يابن أخي ، وأمـر به إلى السجن . وراح عمرو يزين له قتله فقد كان يوم صفين جمرة عليهم. ولكن معاوية لم يسمع له فقد كـان يعمل على نجب الناس فيه واستمالتـهم إليه بالمال والعفو والصبر والأناة.

وأتى به من سجنـه وقال له : أتراك فاعل مـا قال عمـرو من الخروج علينا ؟ قال : لا تسل عن عقـيدات الضمائر لا سيمـا إذا أرادت جهادًا في طاعة الله .

قال : إذا يقتلك الله كما قتل أباك . قال : ومن لي بالشهادة ؟.

واستمر معاوية يلاينه حتى أخذ عليه موثقًا ألا يساكنه بالشام وحتى لا يفسد عليه أهله ثم أحسن جائزته وأطلق سراحه[1].

كان الحسن رضي الله عنه مع شجاعته يمتاز بالحلم والأناة ، فكان كلما نزل منزلاً بقبيلة من القبائل قالوا له : يا عار المؤمنين . فكان يقول لهم في هدوء : العـار خيـر مني . ولكن ربما خرج عن هذه الصـفة فـي شجـاعة وجرأة منقطعة النظير.

فيومًا كان يطوف بالكعبة فلقـيه عمرو بن العاص فقال له : يا حسن،

---

(١) الأعلام خير الدين الزركلي ج٣ ص١٩٥ ط٢ القاهرة ١٩٥٤ .

زعمت أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك فقد رأيت الله أقـامه بمعاوية فجعله راسيًا بعد ميله وبينًا بعد خـفائه ، أفرضي الله بقتل عثمان ؟ أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يطوف الجمل بالطحين· عليك ثياب كغرقئ البيض وأنت قاتل عـثمان ؟ والله إنه لألم للشـعث ، وأسهل للوعث أن يوردك مـعاوية حياض أبيك ·

قـال الحسن رضي الله عنهـما وقـد وقف في شـجاعـة يرد على هذا الباطل ويضع الأمور في نصابها فقـال مخاطبًا عمرو بن العاص : إن لأهل النار لعلامات يعرفون بهـا · وهي : إلحاد لأولياء الله وموالاة لأعداء الله· والله إنك لتـعلم أن عليًا لم يرتـب في الدين ولم يشك في الله ساعـة ولا طرفة عين قط ، وأيم الله لتنتـهين يابن أم عمرو أو لأنفذن حـضيك بنوافذ أشد من القصيعية ، فإياك والتـهجم علي فإني من قد عرفت لست بضعيف الغمزة ولا هش المشـاشة ولا مريء المأكلة وإني من قريش كـواسطة القلادة يعرف خسبي ولا أدعى لغير أبي ، وأنت من أنت من تعلم ويعلم الناس ، تحاكمت فيك رجـال من قريش فغلب عليك جزارها ألأمها حسـبًا وأعظمها لؤمًا ، فإليك عني فـإنك رجس ونحن بيت الطهارة أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرًا[١] ·

إذا أردنا أن نقف عند كلمـات الحسن لوجـدنا أن كل كلمة نطق بـها كانت صُدقًا ، ولم يرد بذلك التشـهير أو التطاول على عباد الله ولكنه أراد أن يرد الظلم ويبين الحق ، ولم يقل ذلك على سبيل التـفاخر ، كلا ولكن أراد أن يبين حقيقة عمرو بن العـاص الذي أراد أن يخرجه عن حلمه وعفوه

(١) مروج الذهب أبو الحسن علي المسعودي ط الشرق الإسلامي ص ٢٠٣٥ ·

فكان من الشجاعة والبطولة أن يوضح له هذه الحقائق التي ربما غابت عنه ·

• • طريفة:

روي أن الحسن رأى غلامًا أسود يأكل من رغيفه لقمة ويطعم كلبًا هناك لقمة فقال له الحسن: ما حملك على هذا ؟قال الغلام: إني أستحي منه أن آكل ولا أطعمه قال له الحسن : لا تبرح مكانك حتى آتيك · وذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط-البستان-الذي هو فيه وعاد إليه وأعتقه وملكه الحائط · فقال الغلام : يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له - يعني أني وهبت البستان لله عز وجل ·

إن الحسن كان يعرف عنه الشجاعة في الفعل والقول ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ·

حدث يوم أنه كان يوجد عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة فقالوا : يا أمير المؤمنين! إن الحسن قد أحيا أباه وذكره وقال صدق وأمر فأصبح وخفقت له النعال وإن ذلك لدافعه إلى ما هو أعظم منه ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا ·

قال معاوية : فماذا تريدون ؟قالوا : ابعث إليه فليحضر لنسبه ولنسب أباه ونعيره ونوبخه ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئًا من ذلك أبدًا · فرفض معاوية في بادئ الأمر وقال :ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالسًا عندي إلا خفت مقامه وعيبه لي فأصر هؤلاء على معاوية أن يبعث إلى الحسن بن علي · قال: إن بعثت إليه لأنصفنه منكم ·

حتى قال عمرو بن العاص لمعاوية : أتخشى أن يأتي باطله على حقنا

أو يربى قوله على قولنا؟ فقال معاوية :أما إذا عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول ، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب ولا يلحق بهم العار ، ولكن اقذفوه بحجرة تقولوا له : إن أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء من قبله. فبعث إليه معاوية ولما جاءه الرسول وقال : أمير المؤمنين يدعوك ، فقال له الحسن : من عنده ؟ فسماهم له.

فقال الحسن : ما لهم ﴿ **فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ [النحل:٢٦] .

ولبس ثيابه وتوجه لله عز وجل بقلب صاف مليء بالإيمان واليقين قائلاً : اللهم إني أعوذ بك من شرورهم وأدرأ بك في نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت وأنى شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين.

فلما دخل على معاوية أعظمه وأكرمه وأجلسه جانبه. فخاطبه معاوية قائلاً : يا أبا محمد إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني . فما كان جواب الحسن لمعاوية إلا كلفح السياط أو كقرع السهام والسيوف ، فقال: سبحان الله الدار دارك والإذن فيها إليك ، والله إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إني لأستحيي لك الفحش وإن كانوا غلبوك على رأيك إني لأستحيي لك من الضعف ، فأيهما تقر وأيهما تنكر ؟. أما إني لو علمت مكانهم جئت معي بمثلهم من بني عبد المطلب وما لي أن أكون مستوحشًا منك ولا منهم ، إن وليي الله وهو يتولى الصالحين.

فقال معاوية :يا هذا إني كرهت أن أدعوك ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له ، ومع ذلك فإن لك النصفة منهم ومني.

فتكلم عمرو بن العاص وخاطب الحسن فأساء إليه وإلى الإمام علي كرم الله وجهه ، وتكلم الوليد بن عقبة فقال : إنكم كنتم أخوال عثمان فنعم الولد كان لكم فعرف حقكم ، وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان يكرمكم ، فكنتم أول من حسده ، فقتله أبوك ظلمًا لا عذر له ولا حجة ، فكيف ترون الله طلب بدمه وأنزلكم منزلتكم ؟ والله إن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية وإن معاوية خير لك من نفسك.

ثم تكلم عقبة بن أبي سفيان قال : يا حسن كان أبوك شر قريش لسفكه لدمائها وقطعا لأرحامها ، طويل السيف واللسان يقتل الحي ويعيب الميت ، وإنك ممن قتل عثمان ونحن قاتلوك به ، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحًا ولا في ميراثها راجحًا ، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان وإن في الحق أن نقتلك وأخاك به.

ثم تكلم المغيرة فشتم عليًا وقال : والله ما أعيبه في قضية لحون ولا في حكم يميل ولكنه قتل عثمان. ثم سكتوا.

ووقف الأسد الجسور الذي توالت عليه الضربات من كل جانب ، ومع كثرة هذه الضربات المتلاحقة لم تجعله يترنح أو يستكين يطلب السلامة فيسكت على المهانة والضيم. فوثب وثب الليوث قائلاً في شجاعة يحار لها العقل : يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني فحشا الفتنة وسوء رأي عرفت به. وخلقًا سيئًا ثبته عليه وبغيًا علينا عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم.

أنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن الذي شتمتونه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة وتعبد اللات والعزى

غواية. وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان وأنت يا معاوية بأحدهما كافر وبالأخرى ناكث.

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانًا وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم تسرون الكفر وتظهرون الإسلام وتتمالونه بالأموال؟ وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه صاحب راية الرسول ﷺ يوم بدر وأن راية المشركين كانت مع معاوية وأبيه.

ثم لقيكم يوم أحد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله ﷺ ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلح حجته وينصر دعوته ويصدق حديثه، ورسول الله ﷺ في تلك المواطن كلها عنه راض وعليك وعلى أبيك ساخط. وأنشدك بالله يا معاوية أتذكر يومًا جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه فقال: اللهم العن الراكب والقائد والسائق. والله لما أخفيت من أمرك مما أبديه.

وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن عليًا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل فيه قول الحق: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [المائدة: ٨٧] وأن رسول الله ﷺ بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث عليًا بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها، وأنتم أيها الرهط ناشدتكم الله ألا تعلمون أن رسول الله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها. أولها: يوم لقي رسول الله ﷺ خارجًا من مكة إلى الطائف يدعو ثقيفًا إلى الدين فوقع به وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده وهمّ أن يبطش به فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

والثانية : يوم العير إذ عرض لها رسول الله ﷺ وهي جائية من الشام فردها أبو سفيان وساحل بها ولم يظفر المسلمون بها فلعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه فكانت وقعت بدر لأجلها · والثالثة : يوم أحد حيث وقف تحت الجبل ورسول الله ﷺ في أعلاه وهو ينادي أعْلِ هبل مراراً فلعنه رسول الله ﷺ عشر مرات ولعنه المسلمون · والرابعة : يوم جاء بالأحزاب غطفان واليهود فلعنه الرسول ﷺ وابتهل · والخامسة : يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله عن المسجد الحرام والهدى معكوفًا أن يبلغ محله ، ذلك يوم الحديبية فلعن رسول الله ﷺ أبا سفيان ،والسادسة : يوم الجمل الأحمر ،وأما السابعة : يوم وقفوا لرسول الله ﷺ وكانوا اثنى عشر رجلاً منهم أبو سفيان · فهذا لك يا معاوية ·

وأما أنت يابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح فتحاكم فيك أربعة رجال من قريش فغلب عليك جزراها ألأمهم حسبا وأخبثهم منصبًا ثم قام أبوك فقال : أنا شانئ محمد الأبتر ، فأنزل الله فيه : ﴿ **إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ** ﴾ [الكوثر : ٣] وقاتلت رسول الله ﷺ في جميع المشاهد وهجوته وآذيته بمكة وكدت له كيدك كله ، وكنت من أشد الناس له تكذيبًا وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى أهل مكة ، فلما أخطأت ما رجوت · ورجعت ورجعك الله خائبًا وأكذبك واشيًا جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسدًا لما ارتكب من حليتله ففضحك الله وفضح صاحبك فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام ، ثم إنك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتًا من الشعر ، فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم إني لا أقول**

الشعر ولا ينبغي لي. اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة» فعليك إذا من الله ما لا يحصى من اللعن، وأما ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا نارًا ثم لحقت بفلسطين فلما أتاك قتله قلت : أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها ثم حبست نفسك إلى معاوية وبعت دينك بدنياك، فلسنا نلومك على بغض ولا نعاتبك على ود ، والله ما نصرت عثمان حيًا ولا غضبت له مقتولاً.

وأما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض علي وقد جلدت ثمانين على في خمر شربته وقتل أباك بين يدي رسول الله صبرًا ، وأنت الذي سماه الله الفاسق وسمى عليًا المؤمن ، حيث تفاخرتما فقلت له : اسكت يا علي فأنا أشجع منك جنانًا وأطول منك لسانًا ، فقال لك علي: اسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق. فأنزل الله عز وجل موافقته : ﴿**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ**﴾ [السجدة: ١٨] وأنزل فيك على موافقته قوله أيضًا :﴿**إِنَ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦] وما أنت وقريش؟ إنما أنت علج من صفورية وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسن مما تدعى إليه .

وأما أنت يا عتبة فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك وما عندك خير يرجى ولا شر يتقى، وما عقلك وعقل أَمَتك إلا سواء ، وما يضر عليًا لو سببته على رؤوس الأشهاد ، وأما وعيدك إياي بقتلي فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك أما تستحي من قول نصر ابن الحجاج فيك:

يا للرجال وحادث الأزمان ∴ ولست تخزى أبا سفيان
نبئت عتبة خانه في عرسه ∴ جنس لئيم الأصل من لحيان(١)

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٥ .

وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه ، فكيف يخاف أحد سيفك ولم تقتل فاضحك ، وكيف ألومك علـى بغض عليٍّ وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر وشارك حمزة في قتل جدك عتبة وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد .

وأما أنـت يا مغـيرة فلم تكن بخليق أن تقع في هـذا وشهبـه ، وإنما مثلك مثل البعوضة إذا قالت للنخلة : استمسكي فإني طائرة عنك . فقالت النخلة : وهل علمت بك واقعة عليَّ فأعلم بك طائرة عني . والله ما نشعر بعداوتك إيانا ولا اغـتممنا إذ علمنا بها ولا يشق علينـا كلامك ، وإن حد الله في الزنا الثابت عليك . ولقـد درأ عمر عنك حقا للـه سأله عنه ، ولقد سـألت رسـول الله ﷺ : هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يـتزوجـهـا ؟ فقـال : «**لا بأس بذلك يا مغيـرة ما لم ينو الزنا**» . لعلمـه بأنك زان ، وأما فخركم علينا بالإمـارة فإن الله تعالى يقول :﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ [الإسراء: ١٦].

ثم قام الحسن فنفض ثوبـه وانصرف ، فتعلق عمـرو بن العاص بثوبه وقال : يا أمير المؤمنين قد شـهدت قوله في قذف أمي بالزنا وأنا مطالب له بحد القذف . فقال معاوية في غيظ : خل عنه لا جزاك الله خيرًا .

فتركـه وانصرف الحسن وتركهم فـقال معاوية قـد : نبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني ، والله ما قام حتى أظلم علي البيت ، قوموا عني فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن رأي الناصح المشفق.

لقـد وقف الحسن بن علي رضي الله عنه وعن أبـيه كـالأسد الجـسور

الذي لا يهاب الموت فحدث هو أحاديثا جعلهم يكرهون الحياة وتمنوا مرارًا وتكرارًا ليته سكت ، وهو لا يخشى أحدًا ولا يهاب أحدًا ، مع أنه يعلم علم اليقين أنه يمكن أن يغدر به في لحظة من اللحظات ويدفع حياته ثمن شجاعته وإقدامه ، ولكن لن يبالي ما دام واقفًا على الحق بقدم راسخ لا تؤثر فيه الأحداث ولا تذهله الأهوال، ذلكم الحسن بن علي وسبط رسول الله ﷺ فمن إذًا يكون . فرضي الله عنه وأرضاه[١].

• • **بداية النهاية:**

عشر سنوات انقضت بعد استباب الأمر لمعاوية ، فنال ما يشتهي ولم يبق له إلا أمنية واحدة ، كان يرجو أن يبايع الناس ليزيد فيقر بذلك عينًا ، ولكن بقاء الحسن حيًا يجعل تحقيق هذه الأمنية عسيرًا ، وأخذ يقدح زناد فكره فسقط على فكرة وضيعة ، ومع ذلك لم تثنيه وضاعتها عن تنفيذها ، فهو كان من الذين لا يحفلون كثيرًا بالوسائل ما دامت هذه الوسائل تحقق غرضه ، إنه يبغي غاية وينطلق إلى هدف فكان كل همه أن يحقق الغاية وأن يبلغ الهدف ، سواء سار على الصراط أو تنكب الطريق[٢].

ويمسك التاريخ في هذه الجريمة الدنيئة بإحدى زوجاته وهي جعدة بنت الأشعث بن قيس ،كما يمسك بأصابع الغدر الأموي ، ومن عجب أن الأشعث بن قيس والد جعدة كان من أبرز أنصار الإمام علي ثم كانت له أثناء خدعة التحكيم وبعدها مواقف مشبوهة ومحاولات مريبة كانت سببًا

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ الإمام الذهبي ج٥ ص٣١١ ط دار الغد العربي .

(٢) أبناء الرسول في كربلاء ص٦٠ ط دار ثابت .

في أكثر ما نزل بالإمام يومها من آلام وأخطار. ووجد معاوية في هذه الابنة والزوجة الخائنة بغيته فدس إليها معاوية : إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد ، وراحت جعدة توازن بين ما يعرضه عليها معاوية وبين بقائها في كنف الحسن ، فرأت أن الحسن كثير الزواج وأنه مطلاق مصداق - أي أنه كثير الطلاق كثير الصداق لنسائه اللائي يطلقهن - فمن يدري فقد يطلقها غدًا ويبعث إليها بعشرة آلاف وبزقاق من عسل كما فعل مع من طلق.

وطفق عرض معاوية يتخايل لها وجعل شيطانها يوسوس لها ، فدست السم لزوجها الآمن وراحت تجرعه السم كل يوم فمرض ، فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكاية الحسن ، فكتب إليه معاوية : إن استطعت ألا يمضي يوم بي يمر إلا يأتيني فيه خبره فافعل. واشتد مرض الحسن فدخل رجل عليه يعوده فالتفت إليه الحسن فقال : سلني . قال الرجل : والله لا أسألك حتى يعافيك الله وأسألك . قال الحسن لقد ألقيت طائفة من كبدي وإني سقيت السم مرارًا فلم أسقه مثل هذه المرة. وجعل الحسن يذبل ودخل الحسين وجلس عند رأسه وقال: من تتهم يا أخي ؟ قال :لم ؟ لأن تقتله ؟ قال : نعم . قال : إن يكن الذي أظنه فالله أشد بأسًا وأشد تنكيلاً، وإن لم يكن هو فما أحب أن يقتل بي بريء [1].

واشتد بالحسن الوجع فجزع فقال له الحسين : يا أبا محمد، ما هذا الجزع ؟ ما هو إلا تفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك علي وفاطمة وعلى جديك النبي ﷺ وخديجة وعلى أعمامك حمزة وجعفر وعلى

---

(١) أهل بيت النبوة عبد الحميد جودة السحار. ص٣٠٨ .

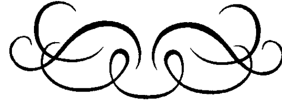
أخوالك القاسم والطيب ومطهر وإبراهيم وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم .

قال : يا أخي إني أدخل في أمر مـن أمر الله لم أدخل في مثله وأرى خلقًا من خلق الله لم أر مثله قط .

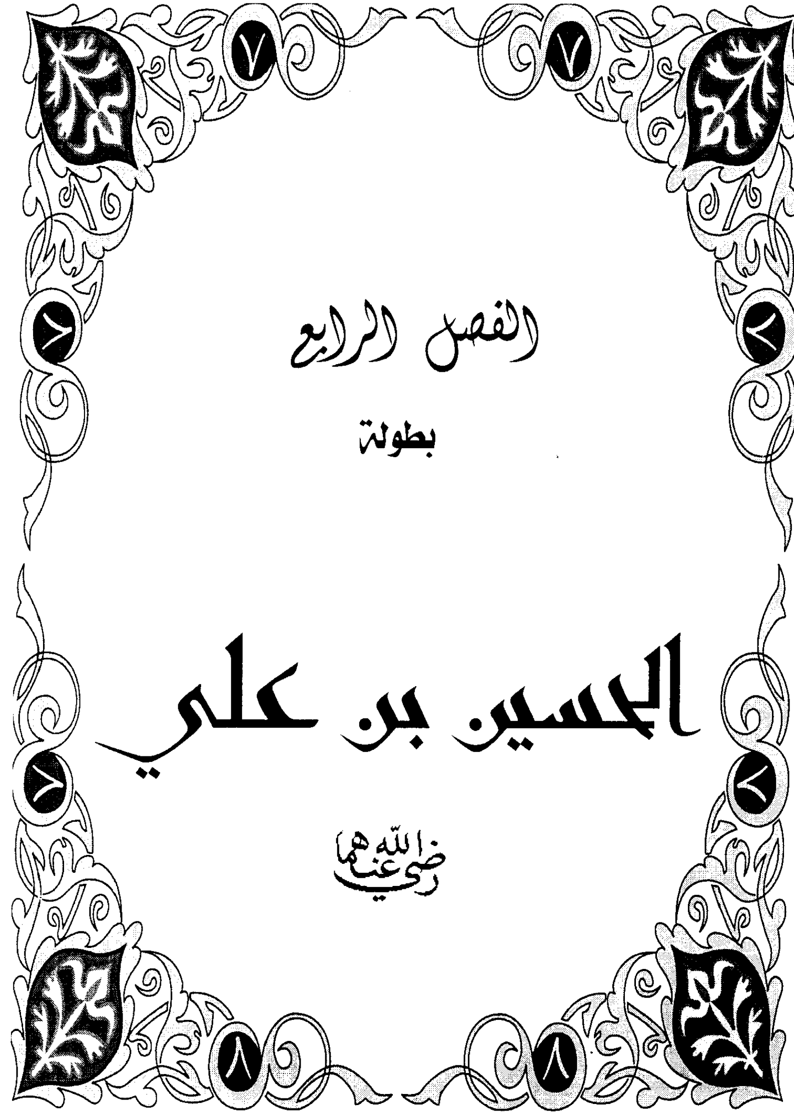
ففاضت عينا الحسين بالدموع ثم سالت عبراته والتفت الحسن إليه وقال: أخرجوني إلى الصحن - أي إلى صالة البيت - أنظر في ملكوت السماء ، فلما أخرجوه رفع رأسه فنظر فقال : اللهم إني أحتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي ، وبعث الحسن يستأذن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن يدفنه مع جده ﷺ ، فأذنت له ، وجاد الحسن داعية السلام بروحه الذكية ، فهرع أبو هريرة إلى المسجد وهو يبكي وصاح بأعلى صوته: أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ ، وجهز الحسن وأراد الحسين أن يقبره بجوار جده ولكن مروان منعه من هذا وكادت الفتنة تطل برأسها مرة ثانية ، ولكن تدارك هذا الأمر جماعة من خيرة الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وجابر وقالوا له : يا أبا عبد الله اتق الله ولا تثر فتنة فإن أخاك كان لا يحب ما ترى فادفنه في البقيع مع أمه .

ووقف على قبره أخيه من أبيه محمد بن الحنفية فقال : لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك، وكيف لا تكون هكذا وأنت عقبة الهدى وخلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء غذتك بالتقوى أكف الحق وأرضعتك ثدي الإيمان وربيت في حجر الإسلام فطبت حيًا وميتًا ، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك .

رحمك الله أبا محمد . مات رحمه الله عن سبعة وأربعين عام ، وقيل : مات عام ٤٩ ، وقيل : عام ٥٠ ، وقيل : ٥١ ، وقيل : ٥٨ . والله أعلم[1] .



(١) البداية والنهاية ج٨ ص٤٥ مكتبة المعارف بيروت .



الفصل الرابع

بطولة

الحسين بن علي

رضي الله عنهما

دارت عجلة الزمن لتطوي من انتهى أجله وتنشـر من بزغ نجمه ، فقد مرض معاوية وقربت نهايـته واشتد به الوجع ، والتمس يزيدًا ابنه ولكنه لم يجده فقـد خرج في رحلة من رحلات الصيد ، فدعـا بدواة وبياض وكتب إليه كتـابًا يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمـا بعد ، فإن الله خلق كل شيء لميقات يوم معلوم وأجل محـتوم ، ولو خلد في هذه الدنيا أحد لكان سيد الأولين والآخرين محمد بن عـبد الله أولى بالبقاء ، وأخذ معاوية وهو يكاد بأنفاســه الأخيرة يكتب لابنه وصية جـامعة مانعـة ، ويضع له خلاصة تجاربه ودهائه ، قائلاً :

يا بني ،أوصيك بوصية ، فأنت بخـير ما دمت على حفظها ،أوصيك بأهل الشام فـإنهم منك وأنت منهم ،فمن قـدم عليك منهم فأكـرمه ،ومن غاب عنك فـاطلع على خبـره ،فإذا دهمك عدو فـسر بهم ، فـإذا ظفرت فردهم إلى بلادهم ،فإذا أقـاموا بغير أوطانهم تخلقوا بغيـر أخلاقهم ،ومن قدم عليك من الحجاز فاسـتوص به خيرًا ،وانظر يا بني إلى أهل العراق في أمورهم ،فإن سـألوك أن تعزل كل يوم عاملاً فـاعمل ،فإن ذلك أهون من شق العصا على السلطان ·

واعلم يا بني أني قـد وطأت لك البـلاد وذللت لك العـبـاد ،ولست أخشى عليك إلا من أربعة رجال ، فـإنهم لا يبايعونك وينازعونك في هذا الأمر ،أولهم : عبد الرحمن بن أبي بكر ،فـإنه صاحب دنيا ،فدعه بدنياه ودعه وما يريد ، يصر لا لك ولا عليك ·

والثاني :عبد الله بن عمر ، فـإنه صاحب قرآن ومحراب ،وقد تخلى عن الدنيا ورغب في الآخرة ، ولا أظنه ينازعك في هذا الأمر ولا يريده ·

وأما الثالث : عبد الله بن الزبير ، فإنه سيراوغك مراوغة الثعلب ويجثو لك جثوة الأسد ، فإن حاربك فحاربه ، وإن سالمك فسالمه ، وإن أشار عليك فاقبل مشورته .

والرابع : الحسين بن علي بن أبي طالب ، فإن الناس تدعوه حتى يخرج عليك ، فإن ظفرت به فاحفظ قرابته من رسول الله ﷺ .

فيالها من وصية من عقل ثاقب وفكر نافذ ، عالم ببواطن الأمور وظواهرها ، فهل سار يزيد بهذه الوصية سيرها الطبيعي ؟!

هذا ما تكون عليه الإجابة في الصفحات التالية . . .

عندما علم يزيد بموت معاوية وقرأ هذه الوصية ، كتب إلى ولاته بالأمصار أن يأخذوا البيعة له ، وكتب إلى واليه بالمدينة أن يأخذ الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير أخذًا شديدًا ، ليست فيه رخصة ولا رحمة ، وبعث بهذا الكتاب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، فلما قرأها ظهر الهم والغم على وجهه وبدا الاضطراب باديا على سلوكه .

واستنجد الوليد بمشورة قريبه مروان ، وكان مروان واليًا على المدينة من قبل ، ثم سخط قرار معاوية أخذه البيعة ليزيد إذ كان يرى نفسه لسنه ومشيخته في بني أمية أحق بها وأولى .

ولخص مروان مشورته للوليد في هذه الكلمات السود : أما ابن عمر وابن أبي بكر فلا أراهما يريان القتال ، ولكن عليك بالحسين وعبد الله بن الزبير ، فإن بايعا ، وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يذيع في الناس نبأ موت معاوية ، فيثب كل واحد منهما في ناحية [1].

(١) أسد الغابة ، ج٤ ، ص١٢٥ دار المنار .

هكذا وبكل يسر واستهتار ، يطوِّح مروان بالقرابة ٠

وبعث إليهم الوليد بن عتبة عـمرو بن عثمان وهو غلام حدث، طلب منه أن يذهب إلى المسجـد ليدعو الحـسن وابن الزبير ، فخرج الغـلام حتى أتى المسجد فألفاهما جالسين، فأتاهما ، فقال : أجيبا الأمير يدعوكما ٠

وفي طريقهما إلى الوليد يسـأل ابن الزبير الحسين : ترى أي أمر بعث إلينا هذه الساعة؟

ويجيبه الحسين قائلاً: أحسب أن معاوية قد مات وقد بعث إلينا للبيعة٠ سكت ابن الزبير برهة وقال : فما تريد أن تصنع ؟

قال : أجمع فتـياني الساعة ثم أمشي إليه فـإذا بلغت الباب أمرهم أن ينتظروه خارج الدار فإن سمعوا حوارًا غاضـبًا بينه وبين الأمير اقتحموا الدار ليكونوا بجانب الحسين إذا أريد به السوء ثم قال لهم : وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم ٠ فدخل الحسين فألفى الولـيد ومروان جالسين فتظاهر بأنه لم يفطن إلى موت معاوية وشـاء أن يفهمهما أنهما مـا أرسلا إليه إلا ليصلح بينهما فقـال: الصلح خير من القطيعة أصلح الله ذات بينكمـا فلم يجيباه في هذا بشيء وجـاء حتى جلـس فأقـرأه الوليد الرسـالة الواردة إليـه ونعى له معاوية ودعاه إلى البيعة إلى يزيد ، فـقال الحسين : إنا لله وإنا إليه راجعون إنها لمصـيبـة عظيمـة ولنا فيهـا شغل عن البـيعـة فقال : الولـيد لا بد من ذلك[1] ٠

قال الحسين : إن مثلي لا يبايع سرًا ولا أراك تجتزئ بها مني سرًا دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية٠ فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى

(١) صور من حياة الصحابة د٠ عبد الرحمن رأفت الباشا ص١٩٥ ط دار النفائس٠

البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرًا واحدًا .

والحسين بن علي رضي الله عنه لم يكن غر فيخدع ولكنه راوغ من أجل ألا يبايع ، ولا نستبعد أن يكون الوليد قد أدرك ما في كلمات الحسين من مناورة شريفة آثر أن يتغافل عنها ولأنه كان رجلاً يحسب العواقب حتى لا يلوث يديه بجريمة العدوان الذي أشار به مروان[1] .

دخل الحسين داره يفكر ويدبر أمره وأهمه فكره فما يستطيع أن يبايع لزيد لأنه إن فعل ذلك لأقر الفسق والجور وثبت دعائم الظلم والطغيان ومكن للباطل ، وما كان الحسين يرضى أن يحيد عن الجادة وإن كان ذلك يكون سبب تشريده وتشريد أهله وهلاك ناصريه . فهل تراجع أو فكر في التراجع ؟ لا هذا ولا ذاك، فراحت الذكريات تترادف في رأسه فتشد من أزره وتقوي عزمه على الثورة ضد السلطان الجائر ، وله القدوة في جده العظيم ﷺ .

فخرج إلى أهله يأمرهم بالرحيل فذهب أبناؤه وأبناء الحسن وإخوته وجل أهل بيته ومواليه رحل إلى مكة ذلك البلد الحرام الذي يلتمس الناس فيه الأمن والملاذ . واصطحب معه أخته السيدة زينب والسيدة أم كلثوم وإخوته أبو بكر والعباس وجعفر وأولاد أخيه الحسن وجميع من كان بالمدينة من أهل بيته عدا أخاه محمد بن الحنفية الذي آثر البقاء بالمدينة .

وأخذ الحسين بن علي رضي الله عنه يجول بخاطره فيما حوله من أمور ، وتذكر قول جده العظيم ﷺ : «**إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**» .

---

(١) البداية والنهاية للعلامة ابن كثير ج٧ ص١٢٦ ، ٣٢٩ ط المعارف بيروت .

فها هو ذا قد وسد لغير أهله ، بل لشر أهله ، وما كان الحسين ليدع دين الله ودنيا الناس ألعوبة في يد يزيد ، بل كان سيبشر بالمقاومة ويخلق ظروفها المواتية ثم يضرب ضربته العادلة ، وسواء دعاه أهل الكوفة أم لم يدعوه، فقلد كان يهتدي إلى مسؤولياته بنور إيمانه وبصوت ضميره وليس بتحريض قوة خارجية. إن خروجه من المدينة إلى مكة ورفضه البيعة ليزيد يشكلان إعلانًا لمبدأ المقاومة.

وتجهز الحسين للخروج فدخل قبر الرسول ﷺ ليودعه قبل الرحيل فبان في وجهه الأسى العميق وفاضت عيناه بالدموع وقال وهو يشرق بعبراته: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد خرجت من جوارك كرها ، وفرق بيني وبينك وأخذت قهرًا أن أبايع يزيد شارب الخمور وراكب الفجور ، وإن فعلت كفرت وإن أبيت قتلت فها أنا خارج من جوارك كرهًا فعليك السلام مني يا رسول الله ، وسار مطأطئ الرأس منقبض الصدر تشيع في نفسه أحاسيس رهبة وحزن، وتلفت قبل أن يخرج لفتة إلى القبر وألقى نظرة طويلة أخيرة كأنما يتزود منه لنهاية العمر ، فما يدري أيعود إلى قبر الحبيب ثانية يزوره أم يلتقي بصاحب القبر في جنات عرضها السماوات والأرض.

وركب الحسين الجادة العظمى فخاف عليه أهل بيته خوفًا شديدًا . فركبوا معه الصعاب وقد خرجوا جميعًا راضي النفوس ، فهم على يقين من أن الحسين ما غضب إلا لله وما ثار إلا لإعلاء كلمة الحق.

كانوا جميعًا يخافون عليه فقالوا له : لو سلكت الطريق الأفرع لكان أصلح . أي أن هؤلاء يريدون أن يدلوه على طريق تكون فيه نسبة الأمان أكثر وأكثر. فماذا قال لهم ؟قال: أتخافون الطلب ؟قالوا : نعم. فأجابهم قائلاً : أخاف أن أحيد حذر الموت ثم أنشأ قائلاً:

إذ المرء لا يحـمي بنيه وعـرضـه ∴ وعـتـرته كـان اللئيم المسـبـبـا
ومن دون مـا ينبـغـي يزيد بنا غـدا ∴ نخوض بحـار الموت شرقًا ومـغربًا
ونضـرب ضربًـا كالحـريق مـقدمًـا ∴ إذا مـا رآه ضـيـغم فـر مـهـربًا

يا لها من شجاعة نادرة وبطولة فذة لا نظيـر لها ، واستمر منطلقًا إلى غايتـه وجاءه الناصـحون من كل مكان من أجل أن يثنوه عن سـيره والمضي قدمًا في طريقه، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن عمر ،وعبد الله بن عباس، وعبـد الله بن مطيع القرشي ، وحتى يكون القـارئ على علم وتعلم الفائدة نذكر هذه النصائح الغالية التي وجهها أصحابها إلى الحسين ، هذا من ناحية ومن ناحـية أخـرى من أجل الأمانة أن تعلم الأجـيال المتـلاحقـة أن هؤلاء الناصحون لـم يتخلوا عنه ولم يتركوه بل أوضـحوا له الطريق،وهذه بعض النماذج:

يقول عبد الله بن مطيع القرشي[1] حينما قابل الحسين وهو في طريقه إلى أهل العراق قال:جعلت فـداك إني أنصحك إذا دخلت مكة فلا تبرحن منها؛ فهي حرم الله والأمان للناس فأقم فيـها وتألف أهلها وخذ البيعة على كل من دخلها من الناس وعدهم العدل وارفع الجور عنهم وأقم فيها الخطباء تخطب وتذكر على المنابر بشـرفك وتشرح فضلك ، ويخبـرونهم بأن جدك رسول الله ﷺ وأباك علي بن أبي طالب ، وأنك أولى بهذا الأمر من غيرك ، وإياك أن تذكر الكوفة فـإنها بلد مشؤوم قتل فيـها أبوك ، ولا تبرح حرم الله تعالى فإن معك أهل الحجاز واليمن كلها وسيقدم إليك الناس من الآفاق وينصرفون إلى أمصارهم وادعهم إلى بيعتك ، فـاقبل نصيحتي وسر مسددًا

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج٣ ص١١٥ ط دار الغد العربي.

فوالله إن فعلت لترشدن ·

فـقال الحـسين رضي الله عنه: جـزاك الله عني كل خـيـر فإني قـابل نصيحتك ·

ومـضى حتى إذا مـا لاحت له أرض مكة نظر إلى السـماء وقـال في ابتهال: اللهم خذ لي بحقي وقـر عيني ، رب اهدني سواء السبيل · وهبط الحسين مكة البلد الذي يأمن فيها الطير مستجيرًا بحرم الله ممن يريدون أخذه بالشدة لمبـايعة يزيد· وبقي بأم القرى لا يدعو الناس إلـى بيعته فمـا هاجر طلبًا للسلطان· بـل هاجر فرارًا من الظلم والطغـيان ، فما كـان الحسين أن يمالئ على دينه ومـا كـان ليـقـبل أن يبـايع لمثل يزيد ليـتـحكم في رقـاب المسلمين· وذاع في مكة أن الحسين رضي الله عنه لم يبايع لـيزيد وانتشر في الأقطار أن ابن بنت رسـول الله ﷺ لائـذ ببـيت الله الحـرام ممن يريدون أن يرغموه على البـيعة كرهًا ، فمالـت قلوب الناس إليه وبذرت الصدور بذور المقت لبني أمية وأعوانهم ·

وهكذا جـعلت الشـجاعـة والبطولة الحـسين يقف في وجـه الأهوال والعواصف العـاتية ، وإن لزم الأمـر أن يقف وحده ويتـحدى هذه الأهوال وتلك العـواصف، ألم نقل إنـه سليل البطولة والشـجـاعـة من القـاع إلى النخاع؟· أليس هو سليل بيت العزة والشرف سليل بيت النبوة ؟ ·

وبلغ أهل الكوفة وفـاة معاوية وامـتناع الحسين من البيـعة فكتبـوا إليه وراسلوه، وبدأت الرسائل والكتب تصل إلى الحسين كالمطر حتى تجمع لديه الشيء الكثير والكثير ، وسنذكر نموذج من هذه الرسائل حتى نضع القارئ على الحقيقة المجردة الخالية من التحيز البعيدة عن المغالاة·

وإليك أيها القارئ الكريم هذا النموذج لتحكم أنت بعقلك وبفكرك.

قد اجتمع رجال عند سليمان بن صرد الخزاعي فقالوا : نكتب إلى الحسين فقال لهم سليمان :يا معشر الناس! إن معاوية قد هلك وقد امتنع الحسين عن البيعة ونحن شيعته وأنصاره فإن كنتم تعلمون أنكم تنصرونه وتجاهدون بين يديه فافعلوا، وإن خفتم الوهن والتخاذل فلا تغروا الرجل. قالوا عن بكرة أبيهم : بل نقاتل عدوه ،وإنا على نصره لقادرون . قال : اكتبوا على اسم الله . فكتبوا إليه(١):

بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. من سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجية ،ورفاعة بن شداد البجلي ، وحبيب بن مظاهر الأسدي ومن معهم من المسلمين. سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد:

اعلم يا ابن بنت محمد المصطفى وابن علي المرتضى أن ليس لنا إمام غيرك فاقدم إلينا لنا ما لك وعليك ما علينا ، فلعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى.

واعلم أنك تقدم على جنود مجندة وأنهار متدفقة وعيون جارية ، فإن لم تقدم على ذلك فابعث إلينا أحد من أهل بيتك يحكم بيننا بحكم الله تعالى وسنة جدك عليه السلام ، واعلم أن النعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نشهد معه جمعة ولا جماعة ، ولو أنك أقبلت إلينا لكنا أخرجناه إلى الشام والسلام.

(١) البداية والنهاية ابن كثير ج١٠ ص١٥٥ ، ٣٢٠ ط مكتبة المعارف بيروت.

إن الناظر في ثنايا سطور هـذه الرسالة ليـجد أن هؤلاء القـوم يعلنون أنهم سيدفعون أرواحهم بيـسر وسهولة فداء للحسين رضي الله عنه ، وأنهم سيدفعـون عنه حتى آخر رجل فيهم وسيبـذلون أرواحهم وأموالهم من أجل نصرة الحق والدفاع بأعز ما يملكون وهذا ما لم يكن ولم يوجد.

هل معنى ذلك أن الحسين رضي الله عنه ذهب ضحية خدعة لم يحسن تدبيرها أو ضحية أنصار لم يحسن تقدير إخلاصهم وثباتهم ؟!

والإجابة عن هذا أننا لا بد أن ننفي عن تفكيرنا هذا الوهم الذي ردده الكثيرون؛ لأن الحسين ذهب شهـيد إيمان ولم يكن له بد من أن يقاوم حتى لو لم يدعه من العراق داع ولم يأته من الكوفة كتاب ، فكل ما صنعته وفود الكوفة وكتبها إليه أنها عجلت خروجه.

والآن ونحن نواجـه الوقائع والأحـداث سنرى كم كان في تصـميـمه وبطولته حكيمًا ، وكيف خطط لواجبه ومسؤولياته في رشد ونهى وسداد.

فعندما جاءته كتب أهل الكوفة تدعوه إلى القدوم عليهم لمبايعته ولدفع العار الذي لحق الأمة باستخـلاف يزيد لم يتسارع بامتطاء راحلته ، بل رأى أن يبعث إليهم مبـعوثًا فطنًا وأمينًا يرى الموقف هناك على طبيعـته ثم يوافيه بالأنباء.

واختار لـهذه المهمة ابن عـمه مسلم بن عقـيل بن أبي طالب ،وحمّله إلى الكوفة هذه الرسالة ، وهذا هو نصها:

بسم الله الرحمن الرحـيم : من الحسين بن على إلى من يبلغه كـتابي هذا من أوليائه وشيعته بالكوفة ، سلام الله عليكم... أما بعد :

فقد أتتني كتـبكم وفهمت ما ذكرتم من محبـتكم ورغبتكم في قدومي

إليكم. وإني باعث إليكم بأخي وابن عمي وثقتي من أهلي مسلم بن عقيل ليعلم لي كنه أمركم ويكتب إلي بما يتبين من جمعكم ، فإن يك أمركم على ما جاءتني به كتبكم وأخبرتني رسلكم أسرعت القدوم إليكم إن شاء الله تعالى.

ومضى مسلم إلى الكوفة ولم يكد يستقر بها حتى سارع الناس إليه يبايعونه على السير تحت لواء الحسين مهما تكن التضحيات.

وسارع جواسيس يزيد - وما أكثر هؤلاء في كل زمان - إلى النعمان ابن بشير والى الكوفة وحاكمها يطلعونه على ما يدور ويجري ، وكان النعمان رضي الله عنه صحابيًا جليلاً فرد جواسيس يزيد خائبين إذ قال لهم:

إني لا أقاتل إلا من يقاتلني ولا أثب إلا على من يثب علي ولا آخذ بالظنة أحدًا، وأجابه أحدهم قائلاً :هذا رأي المستضعفين. فزجره النعمان قائلاً:

لئن أكن من المستضعفين في طاعة الله خير من أن أكون من الجبارين في معصيته ولكن إن كان للحق أعوان يزودون عنه ويضحون من أجله في كل زمان ومكان فإن للباطل أعوانًا يلتفون حوله ويسعون إليه في كل زمان ومكان.

فانصرف هؤلاء من حضرة النعمان يائسين ليكتبوا إلى سيدهم يزيد يخبرونه أن مسلم بن عقيل استولى على أفئدة الناس ، وأن النعمان بن بشير لا يحرك ساكنًا.

وفي دمشق اجتمع يزيد مع مستشاريه ، وكان أبرزهم ذلك الذي يسمى سرجون. ترى بم يستر مجوس كسرجون ؟!مجوسي يا يزيد !!

صدق من قـال: الطيور على أشكالها تقع . أشـارْ بعزل النعمان بن بشـير وتوليـة عبد الله بن زياد والي الـبصرة واليًـا على الكوفة أيضًـا ، ولـم يكن عجبًا أن يقع اختيار سرجون على ابن زياد بالذات ؛ ذلك أن مرجانة أم ابن زياد كانت هي الأخرى جارية مجوسية، وابن زياد هذا من أحط وأشقى من حملت الأرض على ظهـرها ، لا يفوق ولعـه بالقتل وسفك الدمـاء سوى ولعه بالقتل وسفك الدماء.

في نفس الوقت كـان الحسين رضي الله عنه قـد أرسل مولاه سليـمان إلى البصرة حاملاً هذه الرسالة إلى نفر من زعمائها:

بسم الله الرحمن الرحـيم ، من الحسين بن علي إلى مالك بن مـسمع والأحنف بن قيس ومسعود بن عمرو ،وقيس بن الهيثم ،والمنذر بن الجارود سلام الله عليكم. أما بعد:

فإني أدعوكم إلى إحياء معالم الحق وإماتة البدعة والباطل ، فإن تجيبوا تهدوا سبيل الرشاد[1].

إن الذي يدرس هذه الرسالة بعـمق وثاقب فكر يرى أن الحسين رضي الله عنه يرينا كيف كـان يعرف مسؤوليتـه ويمضي معها ، فـأهل البصرة لم يكتبـوا إليه ولم يدعـوه إلى بلدهم كما فـعل أهل الكوفة ، ومع هذا فـهو يكتب إليهم ويعدهم للمـجابهة المحتومة ، ذلك أنه قدر أن يـنهض بتبعات دينه وأمته ، كان قراره هذا آتيًا من أعمـاق روحه وضميره وليس من حركة أهل الكوفة ودعوتهم إياه.

ولكن لم يكد مـبعـوثه - سليـمان - يصل البـصـرة ويسلم رسالتـه

(١) الدين والحياة ج٣ ص٢١٤ نشرات توعية تصدر عن وزارة الأوقاف.

لزعمائها حتى سارع أحدهم وهو المنذر بن الجارود إلى ابن زياد ، حيث أفشى له سرها وأطلعه عليها ، وألقى ابن زياد القبض على رسول الحسين ، وفي وحشية تليق به قام بقتله وصلبه ثم تهيأ للسفر إلى الكوفة ليباشر مهمته المجرمة هناك .

وقبل رحيله دعا أهل البصرة إلى اجتماع عام خطبهم فيه فقال: يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين يزيد قد ولاني البصرة والكوفة وإني سائر إليها ، وقد خلفت عليكم أخي عثمان بن زياد ، فإياكم والخلاف والإرجاف ، فوالله لئن بلغني عن أحد أنه خالف أو أرجف فلأقتلنه ووليه ولآخذن الأدنى بالأقصى والبريء بالمذنب حتى تستقيموا ، أنا ابن زياد ، وقد أعذر من أنذر .

هكذا تحدث إلى الناس بالبصرة حديث الطاغية ، على أن التجربة تعلمنا أنه ليس هناك أجبن من الطغاة ، وأن ما يتظاهرون به من بأس شرس وشجاعة زائفة إنما يستمدونها مما يسلون بأيديهم من سلطان ،فابن زياد هكذا بكل طغيانه وقسوته وإجرامه يخاف أن يدخل الكوفة سافرًا منظورًا فيدخلها متنكرًا .

ومن المفارقات الباسمة أن أهل الكوفة الذين كانوا ينتظرون مقدم الحسين بن علي على شوق ولم يكادوا يرون قافلة ابن زياد حتى حسبوها موكب الحسين بن علي . فراحوا يفسحون له الطريق هاتفين : مرحبًا بابن رسول الله قدمت خير مقدم ، ولئن كانت هذه الحفاوة بالحسين قد ملأت نفس ابن زياد مرارة وحقدًا إلا أنها ألقت على قلبه الجبان كثيرًا من الأمن ؛ إذ اطمأن أنهم لم يعرفوه وبالتالي لن يصلوا إليه بسوء ، ومن العجب أنه حينما بلغ دار الإمارة واحتمى بشرطتها وحرسها راح ينصب شباكه ليقتنص

رسول الحسين وابن عمه مسـلم بن عقيل الذي كان يمارس نشاطه الجليل في مهمة موفقة وناجحة .

كان عـزل النعمـان بن بشيـر عن الكوفة وتوليـة ابن زياد مكانه نذيرًا رهيبًـا لمسلم ابن عقـيل ، فبعـد أن كان يجتـمع بالناس في غيـر تحرج ولا تخوف راح يغير مقره، فينتقل إلى دار أخرى ويحيط نشاطه بكتمان كبير .

● **بطولة مسلم بن عقيل ابن عم رسول الله ﷺ**[1] :

بعد وصول ابن زياد إلى الكوفة انتقـل مسلم بن عقيل إلى دار جديدة هي دار هانئ بن عروة ، وهذا الرجل من صفوة أهل الكوفة وأشرافهم .

وهنا نلتقي بصورة من عظمة آل البيت وأخـلاقهم وشرفهم في النضال والبطولة والقـتال ، ذلك أن هانئ مـرض وذهب ابن زياد لعيـادته ، ورآها هانئ فرصة سانحة وربما لا تتكرر للإجهاز على ابن زياد والتخلص منه إلى الأبد ، فـاتفق مع مسلم بـن عقـيل أن يفاجئ ابـن زياد عندما يجيء إليـه ويضربه بسيـفه ضربة تريح منه البلاد والعـباد ، ولكن ابن زياد جاء وجلس وطالت جلسـته ثم غادر الدار دون أن ينالـه سوء ، وبُعيـد انصرافـه عاتب هانئ مسلمًـا وسأله : لماذا لم تنجز ما اتـفقنا عليه وتتقـرب إلى الله بقتله؟ فكانت إجابة مسلم : لقد منعني من ذلك أمرين:

أولهما :كراهية أن يقتل الرجل غيلة .

والثـاني :منعني خبر سمعته عن رسول الله ﷺ قال : «**الإيمان ضـد الفتك لا يفتك مؤمن**» .

(١) أهل بيت النبوة د:عبد الحميد جودة السحار ص٣٩١ ط الشعب .

هذا هو الخلق الشريف الذي يناضل له أهل البيت الكرام وأخلاق البطولة والشجاعة تمنعه من الغدر والخيانة وإن كان من أشد أعدائه .

أما مسلم فقد واصل أخذ البيعة سرًا حتى بايعه ثمانية عشر ألفًا وآنئذ وأمام تلك الأعداد الكثيرة من الأنصار والمبايعين أرسل مسلم إلى الإمام الحسين يبشره بما تم ويدعوه للقدوم ، وآنئذ أيضًا كان ابن زياد قد جن جنونه لإخفاقه في القبض على مسلم وفشل شرطته في معرفة مكانه ، هنالك لجأ إلى حيله الخبيثة ، فاختار واحدًا من مواليه واسمه معقل التميمي، وأتقن الخبيث دوره حتى خدعوا به جميعًا وأصبح أثيرًا لديهم يزور مسلمًا كل يوم حيث يقضي معه النهار كله ثم يقضي الليل بأجمعه مع ابن زياد ناقلاً إليه الأخبار والأسرار ، وحين تمكن ابن زياد من قنصه الثمين أرسل في طلب هانئ وفاجأه قائلاً:

إيه يا هانئ بن عروة ما هذه الأمور التي تحاك في دارك لأمير المؤمنين؟ جئت بمسلم بن عقيل وأدخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت أن ذلك يخفى علي؟! . وكانت المفاجأة أليمة الوقع على هانئ فرأى أن يخادع ابن زياد بالإنكار ربما يستعد لمجابهته التي أصبحت محتومة لكن ابن زياد أذهله بمفاجأته الثانية فدعا جاسوسه وكان يسمى معقلاً الذي انتصب أمام ابن عروة . وسقط في يد هانئ وأدرك كل شيء ، ولكن سرعان ما سيطرت رجولته على الموقف في لحظة وصاح بابن زياد قائلاً : أجل أعرفه وإن مسلمًا في داري وهو ضيفي ولن أسلمه أبدًا ما دمت حيًا ، وجن جنون الطاغية فنادى جلاديه وأمرهم أن ينزلوا به كل عذاب دون القتل حتى لا يستريح بالموت . وتناوشه المجرمون يكسرون أنفه ويمزقون لحم وجهه ويهشمون عظامه وهو صابر محتسب ، ولما شفى ابن زياد نفسه المظلمة

بتعذيبه أمرهم أن يخرجوا به إلى السوق ويضربوا عنقه.

وطار خبر مصرعه واستشهاده إلى مسلم بن عقيل. فجمع رجاله وأنصاره وسار بهم إلى قصر الإمارة حيث ضربوا حوله حصارًا رهيبًا.

ولكن لماذا لم يضرب مسلم حينئذ ضربته القاصمة وكان معه من الأنصار أضعاف الحرس الذين يحرسون الطاغية ؟ولماذا لم يستغل الثورة العارمة التي كانت تشتعل في نفوس الناس بسبب مقتل هانئ بن عروة ؟!

وهنا ينجو ابن زياد مرة أخرى من قتل محقق بسبب أناة مسلم وفضائله ؛ لأن مسلمًا يعلم أن الإمام ليأخذ له البيعة ولم يأذن له بقتال ، وهو حريص على أن يلتزم الحدود التي رسمها له ابن عمه وقائده ، وقد مضي اليوم كله مكتفيًا بالحصار الذي ضربه وأحكمه. بينما قضى ابن زياد ومن معه في القصر يومهم في نسج الشباك وأعمال الحيلة ، فأوعز إلى بعض زعماء الكوفة وأشرافها الممالئين ليزيد والذين كانوا معه داخل القصر على أن يطئوا على المحاصرين ساعة الغروب ويخبروهم أن جيش الشام في طريقه إلى الكوفة سيصلها غدًا أو بعد غد وسيحيل أحياءها قتلى ودورها ترابًا. ففعلوا ما أمرهم ابن زياد وأتقنوا عملية بث الرعب في القلوب ثم نصحوا الثوار أن ينصرفوا على أن تعالج الأمور فيما بعد بالتفاهم والمفاوضة.

وانصرف الثوار ، بعضهم صرفه الفزع وبعضهم صرفه احتمال الوصول إلى تفاهم يحقن الدماء .

وفي الصباح انبثت شرطة ابن زياد في طول الكوفة وعرضها باحثين عن مسلم بن عقيل .

أما هذا البطل المغوار مسلم بن عقيل فقد هام على وجهه وجعل يبحث عن مخبأ يلجأ إليه ، فلم يهتد إلى مكان أمين فأعوانه قد تخلوا عنه وأنصار الحسين بالكوفة بايعوا ليزيد ، وأحس عطشًا فاقترب من دار من الدور الممتدة على الطريق فرأى امرأة قائمة بالباب تنتظر ابنها الذي خرج مع الناس ، فاقترب منها وفي حياء قال لها: اسقني ماء فدخلت المرأة دارها ثم عادت فسقته ودخلت لتعيد الإناء ثم أقبلت تنتظر أوبة ابنها فوجدته لازال واقفًا أمام بابها فقالت : ألم تشرب ؟رحمك الله ·

قال:بلى · قالت : فاذهب إلى أهلك عافاك الله فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أجمله لك · قال : يا أمة الله ليس لي في هذا البلد منزل ولا عشيرة· فهل إلى أجر ومعروف وفعل نكافئك به بعد اليوم ؟ ·

قالت : يا عبد الله وما هو ؟قال : أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم وغروني· قالت : أنت مسلم ؟قال : نعم · قالت : ادخل ، فأذخلته وخبأته في مخدع خاص وراحت تعد له العشاء أدخلته له فلم يتعشَّ ، وعاد ابنها فرآها تكثر الدخول والخروج على ذلك المخدع فأنكر حالها فقال لها : يا أماه ما أكثر دخولك وخروجك إلى هذه الغرفة ؟وما زال بها حتى أخبرته بهذا الأمر بعد أن أخذت عليه العهد ألا يبيح السر فقال الفتى : أعاهد الله ألا أبيح السر ، وبات الشاب يفكر طول الليل أيفشي أمر مسلم بن عقيل إلى زياد أمير الكوفة· طمعًا في المال والجاه وحطام الدنيا ، وما لاح الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى هب من نومه الذي جافاه طيلة الليل وانطلق إلى محمد بن الأشعث وأعلمه بأن مسلم بن عقيل في دارهم·

وكـأنما كـان بين آل الأشعث وآل أبـي طالب عداوة قـديمة ، فـالأب الأشعث خـذل الناس عن الإمـام علي يوم صفين (أي في مـعركـة صفين) والبنت جـعدة بنت الأشـعث هي التي سـمت الحـسن وها هو الابن عبـد الرحـمن بن الأشعث ينطلق إلى دار الإمـارة ليرشـد أعداء أهل البـيت إلى مخبأ مـسلم بن عقيل. وفي لمح البصر بعث ابن زياد رئيس الـشرطة ومعه سبعين فارسًا في كامل سلاحهم إلى مخبأ مسلم.

وهنا تجلت البطولة في أروع صورها ، ماذا كان موقف مسلم من هذا عندما سمع صـهيل الخيل وقعـقعة السلاح وزعفـات الرجال. هل فت في عضضه واستسلم في يسر وسهولة وهو يعلم علم اليقين أن الموت مدركه لا محالة ؟ولكن هل يموت دون أن يضرب المثل في البطولة والشجاعة ؟هذا ما نجاوب عليه في السطور التالية.

حينمـا سمع هذه الجلبـة قال : مـا طلب القوم غيـري ، وأطل على القوم فرآهم قد أحاطوا بالدار كما يحيط السوار بالمعصم ، فالتفت إلى المرأة وقال لهـا : هاتي سيفي وقام وشـد وسطه بمنطقته ولبس درعـه وخرج إلى القوم وهو يهز سيفه فقالت له المرأة : يا سيدي أراك تأهبت للموت. قال : والله أجل لا بد من الموت ،وخـرج إلى القـوم وكر عليـهم وقـاتلهم قتـال الأسود الضـارية التي تدافع عن عرينها. وكان مـسلم بطلاً من صناديد بني هاشم فجدل منهم رجلاً ففروا مذعورين من الدار ولكنهم عادوا إليه بقلوب واجفة ، فهـجم عليهم بقلب يائس بل قاتلهم قتال من يعلـم قرب نهايته. فجدل منهم رجالاً فخرجوا من الدار مذعورين ثم عادوا إليه يهاجمونه فكر عليهـم وقد كشـر عن أنيابه وأحل من سـيفـه المنون ، فخـرجوا من الدار مذعورين والمـوت يلاحقهم ورأوا أنه سيفـنيهم إذا عادوا إلى مهـاجمة ذلك

الليث الكاسر فرأوا أن يخدعوه [1].



- **البطل قبل موته:**

صاح هذا الخائن الذي يسمى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، قالوا : يا مسلم بن عقيل اخرج ولك الأمان. وكان مسلم من بيت إذا عاهد أوفى وإذا واعد لم يغدر أبدًا ، أليس هو من بيت النبوة؟. وما كان يدري أن نكث العهد والغدر وخلف الوعد من طابع العهد، وإن رأى وعاين نكث الجماهير لعهودهم ومكابدته من خذلانهم ، وكان مسلم قد أعياه التعب كالليث حينما يتواثب عليه الصيادون من كل مكان وقد أجهدته المناوشة وأعياه التعب فأمكن عبد الرحمن بن الأشعث من يده فجاءوا ببغلة فركبوه عليها وسلبوا عنه سيفه فلم يبق يملك من نفسه شيئًا ،وأطرق يفكر فتذكر شيئًا فبكى ثم قال:إنا لله وإنا إليه راجعون .فحسب بعض من حوله أنه يبكي فرقًا من الموت فقالوا له في سخرية: إن من يطلب مثل الذي تطلب لا يبكي إذا نزل به هذا ؟.

قال البطل :أما والله لست أبكي على نفسي ولكن أبكي على الحسين وآل الحسين ،إنه قد خرج إليكم اليوم أو أمس من مكة ثم التفت إلى محمد بن الأشعث فقال :إن استطعت أن تبعث إلى الحسين على لساني تأمره بالرجوع فافعل ،وانطلق مسلم إلى دار الإمارة وهو مثخن بالجراح مخضب بالدماء في وجهه وثيابه وهو في غاية العطش وإذا قلة من ماء بارد هنالك ، فأراد أن يشرب منها فقال له رجل من الرجال الواقفين بباب ابن زياد: والله

(١) أبناء الرسول في كربلاء .خالد محمد خالد .ص١١٥ ط دار ثابت .

لا تشرب منها حتى تشرب من الحميم. قال مسلم :ويلك يا ابن ناهلة أنت أولى بالحميم والخلود في نار الجحيم مني.

• • البطل في آخر لحظات حياته:

ثم جلس فتساند إلى الحائط من التعب والكلل والعطش فبعث رجل مولى له إلى داره فجاء بقلة عليها منديل ومعه قدح ، فجعل يفرغ له في القدح ويعطيه فيشرب فلا يستطيع أن يشرب من كثرة الدماء التي تعلو الماء. فعل ذلك مرتين أو ثلاثًا فلما شرب سقطت ثناياه مع الماء فقال : الحمد لله لقد كان بقي لي من الرزق المقسوم شربة ماء ، وأدخل على ابن زياد فلما رأى مسلم تجبره قال:

السلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى، فتبسم ابن زياد فقال بعض حجابه : يا مسلم أما ترى الأمير ضاحكًا عليك ، لو قلت: السلام عليك أيها الأمير . وفي شجاعة لم يحسد عليها والموت يحيط به من كل مكان ، ولو شيء من المداهنة والحيلة لأنقذ نفسه من هلاك محقق ولكنها الشجاعة التي تأبى على صاحبها أن يبذل نفسه لأي إنسان ولو كان سببا لنجاة حياته. فقال: والله ما علمت أن لي أميرًا غير الحسين وإنما يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه.

يا سبحان الله أجابه ما أجابه وينتظره ما ينتظره من الهلاك المحقق .

ويقول : يسلم عليه بالإمارة من يخاف منه.

• • الحوار الذي دار بين مسلم وابن زياد قبل الوفاة بلحظات:

قال ابن زياد : إيه يا ابن عقيل أتيت الناس وأمرهم جميع وكلمتهم واحدة لتشتتهم وتفرق كلمتهم وتحمل بعضهم على قتل بعض.

قال مسلم: كلا لست لذلك أتيت ولكن أهل المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم وسفك دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر ، فأتيناهم لنأمر بالعدل وندعو إلى حكم الكتاب.

قال ابن زياد: وما أنت وذاك يا فاسق ؟لم لا كنت تعمل بذلك فيهم إذا أنت بالمدينة تشرب الخمر ؟

قال مسلم: أنا أشرب الخمر ، والله إن الله يعلم أنك غير صادق وأنك قلت بغير علم وأنت أحق بذلك مني ، فإني لست كما ذكرت وإن أولى بها من يلغ في دماء المسلمين ولغًا ويقتل النفس التي حرم بغير نفس ويقتل على الغضب والظن وهو يلهو ويلعب كأنه لم يصنع شيئًا.

قال ابن زياد: يا فاسق إن نفسك تمنيك ما حال الله دونك ودونه ولم يراك أهله.

قال مسلم: فمن أهله يا ابن زياد؟قال: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية. قال مسلم: الحمد لله على كل حال. رضينا بالله حكمًا بيننا وبينكم . فرد عليه ابن زياد : كأنك تظن أن لكم في الأمر شيئًا.

قال : لا والله ما هو بالظن ولكنه اليقين . فقال ابن زياد: قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام من الناس. قال له مسلم بن عقيل: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن فيه أما إنك ما تدع من سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحد من الناس أحق بها منك.

قال الطاغية ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثم اتبعوا جسده رأسه. قال مسلم : يا ابن الأشعث أما والله لولا أنك أمنيتي لما

استسلمت ، قم بسيفك دوني · قد أخفرت دمك · فأطرق ابن الأشعث ولم تنفرج شفتاه بكلمة فقال ابن زياد: أين الرجل الذي ضرب ابن عقيل رأسه وعاتقه ؟فذهبوا يدعونه ·

فقال مسلم: دعني أوصي إلى بعض قومي ، فنظر في جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة ولي إليك حاجة وهي سر فقم معي إلى ناحية القصر حتى أقولها لك · فأبى أن يقوم معه حتى أذن له ابن زياد ، فقام فتنحى قريبًا من ابن زياد فقال له مسلم: إن علي دينًا في الكوفة سبعمائة درهم فاقضها عني واستوهب جثتي من ابن زياد فوارها ، وابعث إلى الحسين فإني قد كتبت إليه أن الناس معه ولا أراه إلا مقبلاً ، ولكن هذا كان ليس بأمين فلم يكتم هذا السر فراح يذيع وصية مسلم له على الحاضرين ·

فتقدم ابن زياد قائلا: إنه لا يخونك الأمين ولكن قد يؤتمن الخائن ، أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببت ، وأما الحسين فإنه إن لم يردنا لم نرده وإن أرادنا لم نكف عنه فرد عمر بن سعد: أما الحسين فلا بد أن يقدم علينا ونذقه الموت غصة · فقال له ابن زياد: يا عمر بن سعد قبحك الله من مستودع سر ، والله لو أنه باح إلى بسره لكتمت عليه وقضيت حاجته ، ولكن من حيث أفشيت سره فلا يخرج لحرب الحسين غيرك ·

وجاء الرجل الذي طلبه ابن زياد فقال له: أنت تقتله ، فأخذا مسلم إلى أعلى القصر وهو يكبر ويهلل ثم التفت إلى الرجل وقال له: دعني أصلي ركعتين وافعل ما بدا لك قال : ليس لك ذلك · فأنشأ مسلم قائلاً:

جـزى الله عـنا شـر مـا جـزى ∴ شـرار المـوالي بل أعق وأظلمـهـا
هم مـنعـونـا حـقـنا وتظـاهروا ∴ علـينا ورامـوا نـزل ونرغـمـا
غـاروا علـينا يسـفكـون دمـاءنا ∴ ولم يرقـبـوا فـينا زمـامًا ولا دمًا
نحن بنـي المخـتـار لا خلق مـثلنا ∴ نبـي أبت أركـانه أن تـهـدمـا

ورفع عـينيـه إلى السمـاء وقـال: اللهم احكم بيننا وبـين قوم غـرونا وخذلونا. ثم أسلمه الطاغية لجلاديـه فضربوا عنقه ثم رموا رأسه الكريم من فوق القصر إلى قارعة الطابق، وأتبعوا الرأس الجسد ثم انصرفوا إلى لهوهم ومرحهم، فقد كانت الليلة ليلة عيد.

وفي الصـبـاح صلى ابن مـرجانة في المـسجـد الجـامع صـلاة عيـد الأضحى، ثم أمـر برأس مسلم بن عقـيل ورأس هانئ بن عروة فغـرسا في أسنة الرماح ثم أرسلهما إلى الشام هدية إلى من يدعوه أمير المؤمنين.

وقد وقع مسلم شهيدًا بعـد ما أدى ما عليه من واجب نحو دينه ونحو قائده وابن عـمه الحسين بن علي رضي الله عنه، على نحو مـا أسلفنا بعد بطولة نادرة وشجـاعة أصبـحت مضـرب الأمثال، وكـان ذلك اليوم الذي استـشهد فيـه مسلم بن عقـيل يوم مشهـود تختلط فيـه الشجاعـة والعظمة والمأساة.

فرضي الله عن مسلم وعن آل بيت النبي ﷺ.

• موكب الأبطال يتقدم:

موقف بطل من أبطال الحق:

انطلق الحسين وأهله ومـواليه وكان لا يمر بماء من مياه إلا اتبـعوه حتى

إذا بلغ مكان قريب من الكوفة يسمى الحاجز من بطن ذي الرمة .

في الوقت الذي كان رأس شهيدي الشجاعة والإسلام مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة يقطعان الفيافي من عراق بن زياد إلى شام يزيد بن معاوية . كان الإمام الحسين يقطع طريقه من مكة إلى الكوفة ، وعندما وصل إلى المكان سالف الذكر أرسل أحد أتباعه الشجعان وكان يسمى قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة وأرسل معه كتاب جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه حسن رأيكم واجتماع ملئكم على نصرنا والطلب بحقنا ونسأل الله أن يحسن لنا الصنيع وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء ثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية ، فإذا قدم عليكم رسولي فاكتموا أمركم وجدوا فإني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأقبل قيس بكتاب الحسين إلى الكوفة حتى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير، فقد بعثه ابن زياد في أربعة آلاف فارس عندما علما بخروج الحسين، فبعث به إلى ابن زياد ، فلما وصل إليه شاء أن يزله بأن يرغمه على سب من أوفده رسولاً ، فقال له مخاطبه ابن زياد قائلاً: يا فتى، اصعد إلى أعلى القصر فسب الكذاب ابن الكذاب ، يقصد بالكذاب الثاني علي بن أبي طالب ،والكذاب الأول الإمام الحسين حفيد المصطفى ﷺ .

وهنا تجلت الشجاعة والبطولة في شخص هذا الفتى الحدث الذي تنبئنا أن الذين تبعوا الحسين تبعوه حبًا وتفانيًا لا طمعًا في دنيا ولا حب في سلطان، ولكن تبعوه من أجل نصرة الدين واتباع الحق وتفانيًا في حب

رسول الله ﷺ وآل بيته، وإن ضربت أعناقهم تحت أقدام آل بيت رسوله ﷺ[١].

فصعد الفتى إلى أعلى القصر فاجتمع الناس ينظرون ماذا يصنع! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس هذا الحسين بن علي خير خلق الله وهو ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأنا رسوله إليكم وقد فارقته بالحاجز من بطن ذي الرمة فأجيبوه واسمعوا له وأطيعوا، وإن الكذاب ابن الكذاب هو عبيد بن زياد فالعنوه والعنوا أباه.

هل تستطيع كل فصاحة البشر أن تعلق على هذا الموقف بثناء أو إطراء أو تمجيد. فلنلق نظرة مزدرية على ابن زياد لنرى ما أنزل به موقف قيس العظيم من خذي وإذلال وسعار. لقد جن كالكلب المسعور وراح يلعن ويرجم شيطانيه؛ لأنهم أمهلوه حيًا حتى أكمل عبارته القاصمة ثم أمرهم أن يلقوا به حيًا من أعلى سور القصر، فقذف به حيث اندقت عظامه وغربت حياته[٢].

وهكذا ضرب هذا البطل أروع المثل في التضحية وفن الفداء من أجل الحق ونصرة المبدأ الذي آمن به.

فرضي الله عنه وعن فعله وصنيعه ورحمة الله عليه.

- **ركب الأبطال يواصل سيره نحو غايته المقدسة:**

من المفارقات العجيبة أن الحسين لم يعلم بمصرع قيس بعد، فاستأنف سيره وسراه حتى انتهى إلى مكان يدعى زرود، وهناك أبصر فسطاطًا

(١) صفة الصفوة ج١ ص١٩٥ ط حلب.

(٢) هناك رواية تاريخية أخرى تقول: إن صاحب هذا الموقف عبد الله بن يقطر أخو الحسين من الرضاعة.

مضروبًا أي خيـمة عظيمة. فسأل عن صاحب هذا الـفسطاط فقيل له : إنه لزهير بن القين فـأرسل الحسين في طلبه فتثـاقل في أول الأمر ثم ذهب إلى لقائه ضجرًا ،وحين التقيا أسـر الحسين إليه حديثًا لم يكد الرجل يسمع هذا الحديث حـتى تهلل وجهه وامـتلأ غبطة وبشرًا ، وسـارع فنقل خيمـته إلى جوار الحسين رضي الله عنه وعن أبيه وقال لمن كان معه من أهله: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فـإنه آخر العهد بنا ثم التفت إلى زوجتـه وقال لها: أما أنت فالحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي سوء.

وانصرف أقرباؤه عائدين إلى موطنهم مـصطحبين معهم زوجته. ترى ماذا قال له الحسين حين ناجاه ؟هل وعده بمنصب أو مغنم ؟ لو كان ذلك ما سرح زوجته ولا قال لمن كان معه مودعًا إياه. إنه آخر العهد بيننا ؟ ثم بأي مغنم يعده الحسين وقد جاءته الأنباء بمقتل رسله وشراسة عدوه؟.

ولكن أغلب الظن أنه حـدثه عن قضيـته العادلة ثم خـتم حديثه مـعه قائلاً: تلك هي القضية ففيم إبطاؤك عن الجنة.

وبعد لحظات والقـافلة المباركـة تسير كـاسبة هذا الـنصير الجـديد جاء رسول عـمر بن سعيـد الذي أوصاه مسلم بن عقـيل قبيل مـقتله بأن يرسل للحـسين يخبـره بما حدث وينصـحه بالرجـوع ، وكان ابن زياد قـد فرض حصارًا رهيبًـا ومحكمًا حول الكوفة ، فلا يخرج من أهلها أحـد مخافة أن ينضم لموكب الحسين ، ولم يأذن لأحد من أهلهـا بالخروج إلا إذا كان ذاهبًا إلى الحج شـريطة أن يكون ممن يكرهون الحـسين أو التشـيع له. وفي نفس الوقت أطلق طلائعه وسراياه من وراء مشارفها وحدودها البعيدة من أجل أن يتربص بقافلـة الإمام الحسين فالتقت إحـدى هذه الطلائع وكانت تضم ألف فارس وكانت تحت إمرة الحر بن يزيد التميمي.

وقبل أن يحيط به هؤلاء الفرسان المدججون بالسلاح ، مر برجل قادم

من العراق فسألوه عن أخبار الناس فقال: والله لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما في السوق . يا لها من بشاعة فلما أخبر الحسين بذلك بان الأسى في وجهه وقال:

إنا لله وإنا إليه راجعون ، فرحمة الله ورضوانه عليهما فأراد بعض من كان معه أن يثنيه عن مسيره وقالوا: يا أبا عبد الله، ألا رجعت من موضعك هذا فليس لك في الكوفة نصير ولا معين فوثب عند ذلك بني عقيل بن أبي طالب وأخوة مسلم فقالوا: لا والله لا نرجع حتى ندرك ثأرنا أو نذوق ما ذاق أخوانا.

فقال الحسين: لا خير في الحياة بعد هؤلاء الفتية. ولما بلغه كذلك مقتل حامل رسالته إلى أهل الكوفة قيس، جمع من كان معه ولحق به في الطريق فقال: أيها الناس! إنما جمعتكم على أن العراق في قبضتي وقد جاءني خبر صحيح أن مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة قتلا ، وقد خذلتنا شيعتنا فمن كان منكم يصبر على ضرب السيوف وطعن الرماح وإلا فلينصرف من موضعه هذا فليس عليه من زمامي شيء ، فسكتوا جميعًا ثم تفرقوا عنه يمينًا وشمالاً.

وبقي في أصحابه الذين خرجوا معه من مكة ، بقى في أهله ومواليه وهم نيف وسبعون رجلاً فبصر إليهم كأنما يسألهم رأيهم فقالوا في حزم أكيد:

والله ما نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نذوق الموت غصة بعد غصة.

وكان اليوم غرة المحرم وكان العام الواحد والستين للهجرة.

والمكان كربلاء على مقربة من نهر الفرات، ولكن قبل أن نبلغ هذا اليوم العاشر من محرم يوم الواقعة الرهيبة والمهيبة يوم الآلام يوم المجد يوم الفاجعة والبطولة يوم العظمة والمأساة.

قبل أن نبلغ هذا اليوم علينا أن نتابع الأحداث التي سبقته وكانت جزءًا من صميمه.

تلك هي الأحداث:

إن ابن زياد في الكوفـة يعمل ليل نهار في إعـداد ضربتـه الآثمة التي تلهث وراءها نفســه المظلمة المسعورة وها هو يختــار قواده للمعركـة ويحشد المقاتلين.

دعا ابن زياد عمر بن سعد : سر إلى الحسين حتى نفرغ مما بيننا وبينه، سرت إلي عـملك قال: إن رأيت رحمك الله أن تعـفيني فافـعل ، ولكن ما زال يساومـه بين الخروج إلى قـتال الحسين وبين منصـبه ، ووقع ابن ســعد فـريســة لأفكاره ودخل على ابن زياد وقـد انهـارت مـقاومـتـه جـميـعًـا وقـال: أصلحك الله إنك وليتني هذا الـعمل وكـتبت لي العـهد وسـمع به الناس، فإن رأيت أن تنفذ لـي ذلك فافعل، وخرج عمـر بن سعد وأتاه من نصحوه بعـدم الخروج فأعرض عنهم بوجـهه فتركوه آسـفين وباع عمر دينه بدنياه.

وعرض عمر بن سعد كتـاب الطاغية على الإمام الحسين فكان جواب البطل العظيم: لا أجيب ابن زياد إلى ذلك أبدًا وإن يكن الموت فمرحبًا به ، ولما بلغ ابن زياد هذا الجـواب أرسل إلى عـمـر بن ســعـد : امنع الحـسين وأصحابه الماء وحل بينهم وبينه حتى لا يذوقوا منه حـسوة كما فعلوا بالتقي عثمان بن عفان.

يا للفجار حين يتوقحون ترى هل سأل ابن زياد نفسه أين كان يوم منع عثمان الماء وأين كان الحسن والحـسين وأبوهما الإمام ؟!!! وعاد الحوار بين الإمام الحسين وعمر بن سـعد. فاستمسك الحسين بموقفـه في رفض مبايعة يزيد [1].

(١) حياة الصحابة يوسف الكندهلوي ج٢ ص١١٢ .

وندع شاهد عيان يصف لنا الأمر بوضوح وجـلاء إنه عقبة بن سمعان وهو أحد اثنين من أصحاب الحسين خلصا من المعـركة يقول : لقد صحبت الحسين من المدينة إلى مـكة ومن مكة إلى العراق وسمـعت جميع أحـاديثه حتى يوم مـقتله. فـوالله ما زاد على أن قال لهم : دعـوني أرجع إلى البلد الذي أقبلـت منه أو دعوني أذهب في هذه الأرض العـريضة حتى نـنظر ما يصيـر إليه أمر النـاس . فلم يفعلوا. هو إذن لم يعـرض أن يذهبوا به إلى يزيد فيـضع يده في يده كما تزعم بعض الروايات الدخيلـة. وإلا ففيم إذن كان امـتناعه عن أن يـقول بلسـانه : بايعت يزيد. فينفض جـيش ابن زياد وينتهي كل شـيء ، لقد رفض الذهاب إلى الكوفة للـقاء ابن زياد ثم رفض طلب ابن زياد بأن يبايع يـزيد. وها هو الهول يحيط به وهو صـامد يرفض الإذعان لعصابة البغي والإثم في عزة المتقين وإباء الأكرمين.

وضاق صدر ابن زياد بصـمود البطل ففزع إلى مستـشاره شمر بن ذي الجون. وكـان هذا الرجل من أعدى أعداء أهل البـيت فجعل يوغـر صدره على الحسين ويحرضه على البطش به ويزين له قـتله ، وبعد محاولات بين الطرفين لم يكن فيها الإنصـاف والعدل ، بل إنهم يريدون إذلاله وهوانه أما المذلة فالممـات دونها ، وأمـا حياته فليس هو أول من يجـود بها في سـبيل الحق من آل بيته العظيم. ولن يكون آخر من يجـود بالحياة منهم ، واحتدم الصراع بين قوتين غير متكافـئتين. أربعة آلاف فارس جيش بن زياد، واثنان وسبعـون بطلاً هم أتباع الحسين رضي الله عنه ، لقد حـاصروا الطريق إلى الماء بخمـسمائة فارس وهم يـرون من وراءه في الخيام من سيـدات وأطفال ومرضى ، وجفت القـرب التي كان أخوه العبـاس ابن الإمام علي كرم الله وجهه قد ملأها من قبل عنوة ،وقبل أن يضـرب حولها الحصار. وقد يصبر الحسين ويصبر رجاله عـلى الظمأ إلى حين ولكن الأطفال والنسوة الذين لم يعد يطاق مـشهدهم وهم يترنحـون تحت وطأة الظمأ القاتل ، فـماذا يصنع

البطل لهم ؟.

● ● اليوم التاسع من المحرم:

وقد تولى نهاره ودلف ليل جديد فدخل الحسين ليعود عليًا ابنه المريض ثم خرج وجـمع أصحـابه وقال: أثني على الله أحـسن الثناء وأحمـده على السراء والضراء. اللهم إني أحـمدك على أن أكرمتنا بالنبـوة وعلمتنا القرآن وفـقهـتنا في الدين وجـعلت لنا أسمـاعًا وأبصـارًا وأفـئدة ولم تجـعلنا من المشركين، أما بعد:

فإني لا أعلم أصحابًا أولى ولا خـير من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجـزاكم الله عني جميعًـا خيرًا. ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدًا ألا وإنـي قد رأيت لكم ، فانطلقوا جمـيعًا في حل ليس عليكم مني زمام. هذا ليل قـد غشيكم فاتخذوه جمـلاً ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدنكم حتى يفرج الله ، فإن القوم إنما يطلبوني ولو قد أصابوني لهوا عن طلب غيري.

فماذا كان جواب هؤلاء الرجال الأبطال ؟

قال الـعبـاس أخوه :لم تفـعل لنبقى بعـدك لا أرانا الله ذلك أبدًا؟. فالتفت إلى بني عـقيل وقال: يا بني عقيل، حسـبكم من القتل بمسلم اذهبوا قد أذنت لكم. فقال بنو عقيل: فماذا يقول الناس ؟يقولون : إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنـي عمومتنا خيـر الأعمام ولم نرم معـهم بسهم ولم نطعن برمح ولم نضـرب معـهم بسيف ومـا ندري مـا صنعوا ؟لا والله لا نفـعل ولكن نفديك أنفـسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل مـعك حتى نرد موردك ، فـقبح الله العيش بعدك.

وقام إليـه رجل من أنصاره فقال: أنحـن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقك، أمـا والله فلا حـتى أكسـر في صدورهم رمحـي وأضربهم

بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولا أفارقك ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

وقال آخر مثل قول سابقه وآخر وآخر وآخر. هبوا جميعًا يعطون أمجد بيعة في تاريخ التضحية والفداء بيعة على البطولة والشجاعة والإقدام، لقد ارتفع الأبطال جميعًا إلى مستوى الموقف البطولي المجيد ،ومن طريف ما حدث في ليلتهم تلك. أن نافع بن هلال البجلي رضي الله عنه وعنهم أجمعين قضى شطر ليله في كتابة اسمه على سهام نبله إمعانًا في طلب المثوبة والأجر وإمعانًا في السخرية من الخطر وإمعانًا في الترحيب بالموت[1].

• • العاشر من المحرم:

اليوم المشهود يوم البطولة والصمود يوم التضحية وفن الفداء ، وطلع الصباح وأقبل اليوم المشهود العاشر من المحرم بدأ البطل يومه المجيد بصلاة الفجر أم فيها أهله وصحبه ، وطلعت الشمس على سبعين أو اثنين وسبعين بطلاً في جانب.

وأربعة آلاف ذئب في الجانب الآخر ، ومن العجيب على الرغم من عدم التكافؤ بين الفريقين إلا أننا نجد تنسيقًا وترتيبًا دقيقًا من قبل الحسين رضي الله عنه حيث وقف البطل الحسين يعبئ رجاله ، فجعل زهير بن القين على الميمنة وجعل حبيب بن مظهر على الميسرة. وأعطى الراية أخاه العباس ابن علي وتقدم شباب آل البيت ليأخذ مكانهم في الصف الأول فدفعهم عنهم الأنصار قائلين: معاذ الله أن تموتوا ونحن أحياء نشهد مصارعكم بل نحن أولاً ثم تجيئون على الأثر. وهكذا وقفوا في الصف الثاني وراء القائد الشجاع والأنصار ، وفي الجانب الآخر وقف عمر بن سعد يعبئ جيشه وينظم ميمنته وميسرته.

---

(١) الكامل لابن الأثير (ج/٢ ص ٤٠ ، ٩٦ ط. دار النفائس).

أوشك القتال أن يبدأ ولكن قبل أن تنفذ أول سهامه وقع حادث ، بل التحمت الجبهتان التحـامًا رهيبًا ورأى جنود زياد كثرة القتلى الذين يسقطون منهم على الرغم من كـثرتهم الهائـلة ، فجن جنونهم وهجم فـرسانهم في ضراوة لم ير لهـا مثيل وبرز لهم فـرسان الحسين الذين لم يكونوا أكـثر من اثنين وثلاثين فارسًا في شجاعة وبطولة لم يشهد التاريخ لها مثيل . فدمروا هجومهم تدميـرًا وجاوزوا الدفاع إلى الهجوم في سرعة مـاحقة ، وأحاطوا بفرسان ابن زياد ثم مرقوا داخل صفوفهم يطرحون برؤوسهم كالذباب .

وهنا جاء دور الأسد الجسور فكبر حفيد الشجاعة ووارث البطولة فكبر الحسين تكبيـرة هزت الأرض ونادت زلزالها وانقذف يضرب بسـيفه ، فكأنه القدر لا راد لأمره ولا مهرب من حكمه ، فكان يشد كالليث الضاري على غريمه فـيصرعه ثم يبـصر آخر في طريقه بسـيفه الغادر إلى بعض أصـحابه فينثني إليه كالصقر ويرديه .

وأصحابه من خلفه يشدون على الأعـداء شد الليوث ، كانوا يجدلون منهم خلقًا كـثير ، فلم يكف أصـحاب الحسين يتعـجلون النصر فمـا أبعد النصر عن قوم يقاتلون في مثل ظروفهم وبمثل عددهم ولكن كانوا يتعجلون الجنة إذ لم يكن لديهم ريب في أنها المنتهى والمصير .

● ● أبطال آل بيت الحسين:

تقدم أبناء الرسول ﷺ نحو مصايرهم العظيمة . لم يعد الذي يضنيهم الظمأ إلى الماء الذي حرمهم منه المجرمون بل الظمأ إلى الشهادة والشوق إلى الجنة . لقد كـانوا في لحظاتهم المجيـدة تلك يشمون عـبير جـدهم الرسول وجدتهم خديجـة وحمزة وجعفـر وعلي وفاطمة فيحلقـون نحوها في هيام وكان أولهم انطلاقًا : علي بن الحسين:

١-علي بن الحسين بن الإمام علي:

كان فتى لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره ،انظروا ها هو ذا في نضرة شبابه وريعان إهابه وشبابه ، يتوسط حراب الأعداء وسيوفهم وهو ينشد:

أنا علي بن الحسين بن علي

نحن ورب البيت أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

تمامًا كما كان يصنع من قبل جده البطل العظيم الإمام علي حين كان يقتحم المعارك في عنفوانه وهو يزأر قائلاً:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة

كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهموا بالصاع كيل السندرة

فها هو ذا ابن التاسعة عشرة ربيعًا يعيد إلى الحياة مرة أخرى بطولات جده العظيم. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**﴾ [آل عمران: ٣٤].

فمضى يضرب ويضرب حتى تصيبه طعنة رمح فيقع على الأرض ، وقبل أن يتحامل على جراحه لينهض من جديد كانت عشرات السيوف الباغية قد مزقت جسده الغض الشريف. وفي شجاعة ورباطة جأش تذهل كل حي حمل البطل ابنه الحبيب ثم سجاه على ذراعي واحد من بني عمومته وأمره أن يذهب به إلى خيمته.

٢-ولما قتل أصحاب الحسين بين يديه وكان آخر من بقي من أصحابه سويد بن عمرو فراح يذب عنه وجاء دور هذا البطل وكان يسمى بعلي

الأكبر ابن الحسين.

فنزل ساحة الوغى وهو يرتجز قائلاً:

أنا علي بن الحسين بن علي

نحن ورب البيت أولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

ومر على الناس يشد بسيفه يهد فيهم هدًا ، فاعترضه رجل فطعنه فصرع بعدما أوقع منهم رجالاً ، واحتواه الناس فقطعوه بأسيافهم فقال الحسين: قتل الله قومًا قتلوك يا بني ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا، بعدك الحفاء وحمله على يديه حيث وضعه بجوار أخيه.

٣-وكان هؤلاء الأبطال يتصارعون ويتسابقون على ساحة الوغى فبرز عبد الله بن مسلم بن عقيل ووقف بإزاء الحسين وقال: أتأذن لي بالبراز أي أبارز الأعداء، فرد عليه الحسين في حب وحنان وقال: يا بني كفاك وأهلك القتل. قال: يا عم بماذا ألقى جدك محمدًا وقد تركتك ، والله لا كان ذلك أبد بل أقتل دونك حتى ألقى الله بذلك. وراح يبارز فكان شبل الأسد ورماه رجل بسهم فخر صريعًا ينادي قائلاً: وا أبتاه وانقطع ظهراه فلما نظر إليه قال: اللهم اقتل قاتل آل عقيل إنا لله وإنا إليه راجعون.

وراح أبناء جعفر يسقطون صرعى بين يدي خالهم وزينب أمهم تنظر وقد انفطر كبدها حزنًا على أبنائها الأبرار الذين فاضت أرواحهم في سبيل نصرة الحق.

٤ ـ القاسم بن الحسن رضي الله عنه وعن أبيه:

واندفع أصغرهم سنًا القاسم بن الحسن يهز سيفه في الهواء الساخن ثم

يهوى به فوق الأعناق الضالة الظالمة حتى نالته سيوفهم فهوى كالنجم ينادي: يا عماه، وحين سمع الحسين هذا النداء نسي ما حوله من هول وانطلق كالصقر صوب قاتل ابن أخيه حيث شد الليث وضرب قاتل ابن أخيه بسيفه فبتر يده الشقية ثم طرحه أرضًا حيث داسته خيل جيش ابن زياد تحت حوافرها.

فانثنى البطل نحو ابن أخيه يضمه ويشمه والغلام يفحص برجله الأرض. ولأول مرة سالت عبرات الأسد وقال يخاطب الجثمان المسجى بالمجد: عزيز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك في يوم كثر واتره وقل ناصروه. بعدًا لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك، ثم حمله بين ذراعيه إلى حيث أرقده بجوار ابنه علي ثم عاد لهول المعركة من جديد.

وقتل من قبل عبيد الله بن علي بن أبي طالب وجعفر وعثمان ومحمد الأصغر وأبو بكر والعباس وأبناء الحسين والحسن أبو بكر بن الحسين وعبد الله بن الحسين والقاسم وأبناء جعفر بن علي عون ومحمد وعبد الله.

وأبناء عقيل بن أبي طالب ،عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر وجعفر، وأبناء مسلم بن عقيل: محمد وعبد الله.

وكان آخر من قتل من آل البيت رضوان الله عليهم.

في وسط هذه الأهوال وجد الحسين طفلاً صغيرًا له ثلاثة أيام ما شرب جرعة ماء فأراد أن يطلب له شربة ماء فأخذه بين يده يطلب وتوجه للقوم وقال: يا قوم قد قتلتم أخي وأنصاري وأولادي وما بقي غير هذا الطفل وهو يتلظى عطشًا فاسقوه شربة من ماء، وما أتم عبارته حتى أتاه سهم فذبح الطفل من الأذن إلى الأذن، فجعل الحسين يتلقى الدم بكفيه ويرمي به إلى السماء ويقول: اللهم إني أشهدك على هؤلاء القوم فإنهم نذروا ألا يتركوا

أحدًا من ذرية نبيك. ورجع بالطفل مذبوحًا ودمه يجري على صدره فألقاه إلى جوار إخوته[1].

● ● **لحظة وداع البطل العظيم:**

وقف الإمام الحسين رضي الله عنه وعن أبيه وحيدًا أمام أعدائه. فقد رحل الأهل جميعًا بعد رحيل الأصحاب كلهم عانقوا الشهادة في سبيل الحق ونصرته.

وأحاط به القتلة الذين سمروا في أماكنهم زائغة أبصارهم واجفة قلوبهم، وبقي الحسين شاهرًا سيفه يذب عن حياضه، وما كان مكسورًا وأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه فلن يخلصوا إليه قبل أن يروي أرض كربلاء بدمائهم، لقد كانوا على كثرة ما اقترفوا من جريمة وسفكوا من دم يهولهم دم الحسين، فيتفاد منهم وزر الإجهاز على حياته.

وهنا انبعث أشقاها شمر بن ذي الجون يصرخ في رجاله من أجل أن يختطفوا رأس البطل فاقتربوا منه، لكنه رغم جراحه ووحدته ينقض عليهم بسيفه ويخرج من الفسطاط غلام صغير هو عبد الله بن الحسن فيلمح قاتلاً يوجه سيفه نحو عمه فيصيح في براءة الأطفال: يا ابن الخبيثة أتقتل عمي؟! فيناله ابن الخبيثة بسيفه الجبان فيسقط على الأرض دون أن تصيب الضربة منه مقتلاً، ويسارع إليه عمه فيحمله إلى مكانه مع عمته السيدة زينب رضي الله عنها التي جلست تستقبل الضحايا وتبصر المصاير في تفويض الله ورضا بقضائه.

يواجه البطل أعداءه في جولة أخيرة فتقع ضربة سيف على رأسه الشريف فتدميه فيشده بعصابة ويحمل سيفه والدم ينزف من كل جسمه والمجرمون يضربون ويضربون. وأخذ يقاتل على رجليه قتال الفارس

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج٣ ص٤١٥ طدار الجيل بيروت.

الشجاع يتقى الرمية ويشد على الخيل وهو يقول: أعلى قتلي يحابون أما والله لا تقتلون بعدي عبدًا من عباد الله الله أسخط عليكم ، وايم الله إني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون ، أما والله إنه لو قتلتموني لقد ألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم.

ومكث الحسين طويلاً من النهار كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف وكره أن يتولى قتله وعظيم إثمه ، وأقبل العدو اللدود لبني هاشم شمر بن ذي الجوش في نفر نحو من عشرة من رجالة أهل الكوفة وأحالوا بينه وبين رحله ويتقدم من الحسين رجل فيضربه بسيفه الأثيم على معصم يسراه فتطير كفه ثم يتقدم ثان فيضربه بسيفه الظلوم على عاتقه فيقع على الأرض ، ويحسبون أنه انتهى فينصرفون عنه لكنهم يفاجئون به ينهض من جديد متوكئًا على سيفه فيسارع إليه آخرون موجهين إليه الضربة الأخيرة.

ويتقدم شمر رجس البشرية كلها فيجز رأس البطل العظيم ثم يحتفظ به ليحمله هدية إلى ابن زياد ويزيد. تمامًا كما قدم من قبل رأس يحيى بن زكريا عليه السلام هدية لبغي من بغايا بني إسرائيل.

كان النهار قد لفظ آخر أنفاسه ومالت الشمس للغروب مخلفة وراءها شفقًا عجيبًا في حمرته الزاهية ووهجه المتألق ، ولقد امتد علي طول الأفق وكأنه بساط وضع ومهد لتعرج إليه إلى جنان الله أرواح الشهداء.

فتحية إجلال وإعزاز وإكرام وأكبار وتعظيم للمهمة التي أنجزها الأبطال والشهداء وتحية استقبال للأرواح التي كانت قد بدأت رحلة خلودها حيث تتلقى من يمن الرحمن ما أعده لها من مثوبة ونعيم وعطاء.

والسلام على آل بيت النبي ﷺ.

خاتمة

ما كان حديثًا يفترى ذلك الحديث الذي روى به التاريخ أنباء أعظم ثلة ظهرت في دنيا العقيدة والإيمان.

ذلك أن التاريخ الإنساني بطوله وبعرضه لم يشهد من التوثيق والصدق وتحري الحقيقة ما شهدته تلك الحقبة من تاريخ الإسلام ورجاله السابقين، حيث توافد على دراستها وتتبع أنبائها جهد بشري خارق نهضت به أجيال من علماء أفذاذ لم يدعوا من ذلك العصر الأول همسة ولا خلجة إلا وضعوها تحت مجاهر الفحص وأضواء الدراسة والنقد.

فالعظمة الباهرة لأولئك الأبطال من آل بيت رسول الله ﷺ ليست أساطير وإن بدت من فرط إعجازها كالأساطير.

إنها حقائق تشكل كل ما كان لآل بيت رسول الله ﷺ من شخصية وحياة، وإننا لنجد في تضحية هؤلاء الأبطال العظام زادًا للأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها؛ لأن الأمة الإسلامية في حالة مخاض، وإن الأبطال يتساقطون في أرض فلسطين السليبة كل يوم يسطرون أمجاد الحاضر ونصر المستقبل إن شاء الله تعالى إنه سميع مجيب وهو نعم المولى ونعم النصير.

الفهرست

مطابع الحرية
المنصورة ت / ٢٢٣٣٨٦٧